لبنى يقابل رياض وسكينه

عمر طه

Ahmed Mady

WWW.MAKTBTNA2211.COM

Wed.
23/5/2012
Riyadh

انتخابات مصر
2012
الجمهورية الثانية

ISBN 622 300 40 50 73

أسس
للنشر
والإنتاج
الإعلامي
ش.م.م

سلسلة الفكر

مكتبة الأسرة ٢٠١٠

الدين لله الحياة

د. محمود حمدي زقزوق

مكتبتنا الفكرية

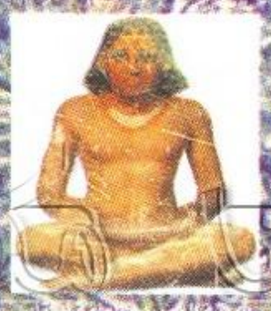

Google

بِرما يقابل ريا وسكينة

ألبوم اجتماعي غامض

برما يقابل ريا وسكينة

عمر طاهر

إهداء وشكر

لـ.. عاليـا

بِرما (بطل الكتاب) شخصية خيالية عاشت في واقعي بما يكفي
أن تتحول إلى شخصية واقعية تعيش في خيالي.

القسم الأول

برما .. بوذا الحرفيين

(قال برما: هل تعرف أن التمساح هو الكائن الوحيد الذي يحرك فكه العلوي عندما يأكل.. بقية الكائنات تحرك الفك السفلي، فتحت فمي لأتأكد مما يقوله برما فوجدته صحيحًا، سألته هل يمكن اعتبارها ميزة؟ فقال: غالبًا هي عاهة.. لأن كل ذي عاهة جبار، سألته: هل يوجد جبابرة بدون عاهات؟ فقال لي: الستات طبعًا).

رسالة برما إلى «سليم تيظهر»

صديقي العزيز سليم تيظهر نجم الموسيقى التركية...

أعرف أنه كان قرارًا صعبًا أن تترك موطنك الأصلي «تركيا» وتقرر السفر لمصر لتستقر فيها لفترة قلت إنها قد تطول، أتمنى لك إقامة سعيدة في القاهرة، وأن تستمتع بتدريس العزف على آلة الكلارينت في أحد المعاهد الموسيقية الخاصة، وأن تنتهز أقرب فرصة لتقيم لنا حفلًا تمتعنا فيه بعزفك الرائع وبموهبتك التي أشاد بها رائد عزف الكلارينيت في العصر الحديث «مصطفى حسنو».

سليم ..لا أعرف حجم معلوماتك عن طبيعة الحياة في مصر، أنا شخصيًا لا زلت أجمع المعلومات حتى هذه اللحظة رغم مرور اكثر من ثلاثين عامًا على الإقامة فيها، ووصلت لنتيجة إن ما حدش فاهم حاجة، لكن ولأنك كنت مضيافًا وكريمًا عندما زرتك في إسطنبول فسأحاول أن أقدم لك نبذة عن شكل الحياة في مصر والتغييرات التي حدثت بها في السنوات الأخيرة، وأتمنى أن تكون هذه الرسالة خير معين لك أثناء إقامتك في بلد الألف مئذنة والآذان الموحد.

لا تشغل بالك يا صديقي بالفكرة التي يروج لها المغرضون القائلة: إن بلدنا هج منه بلا عودة عالم مصري حاصل على جائزة نوبل، انظر للنصف المليان من المج، فبلدنا استقر فيه ربما إلى الأبد مطربة لبنانية تعاني من أح في الـواوا، ولا تنصت لفكرة

مغرضة تقول: إن بلدنا يخلو من أي شكل جمالي، فبلدنا يفخر بوجود هيئة متخصصة في تشجير الشوارع بغض النظر عن أن عدد الموظفين في هيئة التشجير في عاصمتها أضعاف عدد الأشجار الموجود في العاصمة.

يكفيك أنك ستعيش في بلد يرفع منذ سنوات شعارًا حضاريًا راقيًا لن تجد له مثيلًا في كل دول العالم.. شعار «القراءة للجميع» .. بغض النظر عن كونه بلدًا يقرأ المواطن فيه حسب آخر إحصائية (نصف كتاب في العام)، وبغض النظر عن كونه بلدًا تُعرض الكتب فيه على الرصيف، بينما تعرض الأحذية في الفتارين، وصحيح أنه بلد يشهد ١٢٠ألف حالة عض سنويًا من الكلاب الضالة، لكن للأمانة المواطنين كلهم متطعمين، ولا خوف منهم على الكلاب، ويكفي قيام الحكومة بالاهتمام بالكلاب الضالة ومعاملاتها برأفة بناء على توصية من نجمة إغراء عالمية معتزلة، ولا تلتفت أرجوك لخرافة القمامة التي تملأ شوارعنا فنحن البلد الوحيد الذي خلط بين «الاحتراف» و«جمع القمامة».. فمن ناحية ستجدنا قد أسندنا مهمة نظافة شوارعه للأجانب، ومن ناحية أخرى تقوم الأندية المصرية طول الوقت بشراء لعيبة زبالة، والنتيجة أن عمال نظافة مصر أصبحوا متسولين بيونيفورم، ومن ناحية أخرى دخل حازم إمام النيابة لأول مرة في حياته.

بلد تنقطع المياه في ضواحيه بالأيام لكن- والحق يقال- تنتشر به دورات المياه الذكية، بلد يؤمن سكانه بكل المتناقضات، فهم يؤمنون بأن (النار ما بتحرقش مؤمن)، ويؤمنون أن (المؤمن منصاب)، يؤمنون أن (ما تسألش طبيب)، ويؤمنون بضرورة أن تعطي (العيش لخبازه)، يؤمنون بـ(اصرف ما في الجيب)، ويؤمنون بنظرية (القرش الأبيض)، يؤمنون بنعمة الستر، ويقتلون بعضهم بسبب خلاف على ٢ جنيه، أرجوك لا تجعل هذا الكلام يشعرك أننا بلد المتناقضات، صحيح أن شارع ٢٦ يوليو (تاريخ انتهاء الملكية على يد ثورة يوليو)، يقطعه بالتوازي كوبرى١٥ مايو (تاريخ انتهاء ثورة يوليو على يد السادات بثورة التصحيح)، لكن الاثنين يصبان في ميدان لبنان المؤدي لأكتوبر والشيخ زايد رمز الثورة العمرانية في عهد الرئيس مبارك، الغريب أنه لا ثورة يوليو، ولا ثورة التصحيح شهدت قطرة دم واحدة، لكن الثورة العمرانية تشهد سنويًا سقوط عشرات الضحايا على طريق المحور.

كل ما سبق يجب ألا يخيفك، ويجب أن تراه دليلًا على أننا بلد فاير لا يعرف الوسط، نحن نعيش الحياة بأقصى طاقة ممكنة، البلد في حالة حراك محموم لدرجة أننا حسينا في لحظة ما أن «البلد بتتقدم بينا»، ثم اكتشفنا أنه شعور مركب، فكلنا نراها بأعيننا ترجع إلى الخلف، لكن قلوبنا مؤمنة أنها تتقدم للأمام، قد تقول: إن هذا

الكلام يعني أن البلد ماشية عكسي، ممكن طبعًا.. لما لا يكون التقدم إلى الخلف إذا كان أحد أهم أفلام السينما المصرية أثبت إمكانية الصعود إلى الهاوية؟!

المهم.. لا أعرف إن كنت ستحضر معك أطفالك أم أنك ستتركهم في إسطنبول، عمومًا يجب أن تذهب بهم قبل أن تقرر إلى طبيب أمراض صدرية محترم عندكم لتتأكد من قدرة الأجهزة التنفسية لأطفالك على المعيشة في بلد يتكون الهواء فيه من ١١٪ أوكسجين.. هذه الكمية من الأوكسجين تُستخدم في حرق المخلفات وقش الأرز والسولار لتنتج لنا ما سيشكل النسبة الباقية من الهواء وهي عبارة عن ٨٩٪ ثاني أوكسيد الكربون، هذه النسبة العالية من الكربون التي تطبق على أنفاسنا جعلت خلقنا ضيقًا، ونتنفس بصعوبة؛ لذا يجب التأكد من قدرة أطفالك على التعايش مع هذا المناخ الجديد.

عموما سيكون ممنوعا على أطفالك قيادة لسيارات، حتى لو لاحظت أن من هم فى مثل أعمارهم يقودون الميكروباصات والتوك توك على الخطوط الداخلية، وسيكون التدخين ممنوعا بالنسبة لهم، حتى لو رأيت من هم فى مثل أعمارهم يقومون باستنشاق الكولّة تحت الكباري من آنٍ لآخر، ولابد أن تتفهم رغبة الأمهات المصريات فى تقوية أطفالهن بالله، فلا تندهش إذا قابلت واحدة تخبر ابنها أنهم لقوه على باب الجامع، أعرف أن أطفالك

مغرمون بالموتوسيكلات لكن ممنوع شراء موتوسيكل لطفل هنا فى مصر إلا إذا توفر مكان آمن يسمح له بالانطلاق بحرية ودهس الآخرين مثل الساحل الشمالي، وإذا كنت ستستقر إلى الأبد باطفالك فأرجوك ألا تُرغم أى واحد منهم على دراسة شيء لا يحبه؛ لأن لا يوجد مستقبل مضمون لأي شغلانه في البلد، ستسألنى عن موقف الآباء المصريين.. سأقول لك يقوم الآباء حاليا بإجبار أطفالهم على الالتحاق بمدارس الكرة.

بمناسبة الكرة أنصحك بتشجيع النادي الأهلي، فهو أكثر الأندية المصرية استقرارًا وحصدًا للبطولات، ويعتبره الكثيرون بارقة الأمل الوحيدة في ظلام الإحباط اليومي الذي نعيش فيه، لن أقول لك شجِّع المنتخب، لا لأني أعرف أنك مغرم بالمنتخب التركي، ولكن لأن المنتخب سيكون شبه عاطل عن العمل حتى بطولة الأمم القادمة بعد كام سنة، أبتعد قدر الإمكان عن التعاطف مع فريق الزمالك؛ لأن الفريق نفسه غير متعاطف مع جماهيره، تشجيع الأهلي سيضمن لك منفذًا للترويح عن نفسك، وبالمناسبة يجب أن تعرف أنه ممنوع اللعب الخشن على كابتن أبوتريكة (بالضبط هو اللي لبس فانلة التعاطف مع غزة)، أسمعك تقول: ولماذا لم يرتد فانلة التعاطف مع مصر؟ وهو تعليق أنصحك ألا تجرب أن تكتبه في خانة تعليقات القراء في أي مطبوعة إلكترونية مصرية

حتى لا تتهم بالكفر أو بالعمالة لجمال مبارك، أو بأنك (زبلكاوي) على أدنى تقدير (الزبلكاوية هو اسم الزملكاوية على النت.. بينما الجهلاوية هو اسم الأهلاوية).

ستستمتع بتشجيع الأهلي لأنه ممنوع خروج الأهلى خالي الوفاض في أي موسم، لابد أن يفوز ببطولة محلية واحدة على الأقل بأي طريقة، ولأنه ممنوع أن يقوم اتحاد الكرة بمعاقبة الأهلي، لكن يسمح بتغريم جماهيره بمبالغ ضئيلة إذا تجاوزوا في حق الجماهير الأخرى أو الشرطة.. ستستمتع بتشجيع الأهلي لأنه النادي الوحيد الذي يمتلك محطة فضائية تبث كل مبارياته على مدى تاريخه.. والمتعة الأكبر في هذا الموضوع أنه ممنوع أن تبث قناة الأهلي أي مباريات اتهزم فيها الأهلي.

لا تسألني أين يمكنك البحث عن شقة في القاهرة؟ أنت في بلد يؤمن بمبدأ: «اختار الجار قبل الدار»، حقيقي أن الطموح في مصر حاليًا هو أن تسكن في مكان به أقل قدر ممكن من الجيران ومحاط بالأسوار العالية، ويطلق عليه اسم «كومباوند»، وحقيقي أن الأماكن التي يقل فيها عدد الجيران هى الأغلى، مثل: القطامية هايتس وغيرها، لكن ما فيش حاجة كبيرة على ربنا، وشعبنا قادر، واستطاع أن يبدد صفو العزلة في أماكن كثيرة في مصر بداية برأس البر التي كانت مصيف علية القوم في الثلاثينيات مرورًا بالمعمورة والمنتزه

مصيف علية القوم في السبعينيات والثمانينيات، نهاية بمارينا مصيف الصفوة في بداية الألفية الجديدة، وحقيقي أن أكثر من ربع محاضر البوليس هي محاضر متبادلة بين الجيران.. لكن نحن في بلد يؤمن أيضًا أن «مصارين البطن بتتخانق».. لم يفطن أحد يومًا ما أن عراك مصارين البطن هو إشارة لحدوث تسمم، لكن ليست هذه قضيتنا، القاعدة أنك لن تستمتع بالمكان ما لم تستمتع بعلاقة مستقرة مع الجيران، ولكي تستمتع بالجيرة لا يشترط أن تكون اجتماعيًا مرحًا حبُّوبًا، ولكن عليك أن تعرف حدودك جيدا وتلتزم بها ..

لذلك أرجوك ألا تدهن السلم كله عندما تقوم بتجديد شقتك.. عليك أن تخترع فاصلًا وهميًا بينك وبين شقق الجيران، ويجب أن ينتهي الطلاء عند هذه الحدود، واحرص على ألا أن تتجاوز صفيحة القمامة هذا الخط الوهمي، وإذا بعثرت القطط محتويات الصفيحة وتجاوزت المحتويات هذا الخط الوهمي فأنت ملزم بجمعها، أما إذا لم تتجاوز الخط فيمكنك أن تتجاوزها أنت في طريقك إلى الأسانسير، هي اسمها صفيحة الزبالة بالرغم من أنها لم تعد صفيحة، وأصبحت وعاء من البلاستيك، لكن لِمَ اللوم على الصفيحة التي تغيرت إذا كانت محتويات الزبالة نفسها تغيرت خلال السنوات العشر الماضية؟ أين كنت عندما كانت القطط تقلب الصفيحة فتتناثر عظام الدجاج وهيكل السمكة العظمى وقشر البيض

البلدي؟ الآن سيطرت المعلبات وأكياس المجمدات على الموضوع، وأصبح واردًا أن تجد في الصفيحة كميات من الفاكهة لم تمس سوى بقضمة واحدة، ثم تم التخلص منها بعد أن ضرب الباكابورت في محتواها، لا تنزعج لأننا نروي الفاكهة بماء المجاري؛ لأننا- والحق يقال- نروي ملاعب الجولف بالماء النقي.

لا يوجد أى داع للطرق على باب الجار إذا سمعت أصواتًا متقطعة وحادة مدوية بعد العشاء (غالبًا بنتهم اتخطبت ودي زغاريد)، يمكنك فقط الاتصال بالشرطة ومتابعتهم عندما يكسرون الباب إذا انبعثت من الداخل رائحة كريهة .. تأكد قبل أن تتصل بالشرطة أن هذا اليوم ليس يوم شم النسيم.

وتفادى تعليق الملابس الداخلية المغسولة في الصف الخارجي من أحبال الغسيل حرصًا على مشاعر الجيران، لكنك تستطيع أن تفرد سجادة الصالون طول اليوم على سور بلكونتك بحيث تحجب الشمس والرؤية عن الجار اللي تحتك.. لكن لا تنزعج إذا قام الجار اللي تحتك بإشعال النار في شراشيب السجادة أو بجذبها بحيث تقع في بلكونته.. لا تقلق سيعيدها لك لكنك ستتلقى درسًا قاسيًا في أصول تعليق وتنفيض السجاد، وحتى لا تتعرض لشخص يحجب عنك الرؤية بسجادته.. ركِّب تنده.

وضع فى اعتبارك أن ممتلكات الجيران تقع تحت مفهوم الملكية التعاونية، يسمح لك باستعارة طقم الصيني لو فيه عريس جاي لبنتك، أو استعارة بعض البصل والثوم والتوابل لو عازمين عريس بنتك، واستعارة مدخل شقته في ليلة الخطوبة، ده إذا تمت أصلًا (تعتبر الزيجة في مصر زيجة ناجحة إذا كان العريس عايز العروسة بالفستان اللي عليها).

بالمناسبة.. يفضل أن تضع على باب شقتك لافتة عليها اسمك ومنصبك في الحياة (علشان كل واحد يعرف حدوده)، يفضل أن تضع صيغة واسعة قدر الإمكان للمنصب.. فإذا كنت مديرًا ضع لافتة وكيل وزارة، وإذا كنت مجرد موظف عادي ضع اسم المصلحة التي تعمل بها (محمد شلبي .. الجهاز المركزي للمحاسبات)، وحاول أن تتفادى النظر إلى عيني جارك إذا ما انغلق عليكما باب أسانسير واحد، ويفضل أن تعمل الموبايل سايلنت احترامًا لجلال الموقف.. خلق مسافة بينك وبين الجار تكفيك شر عبء الملكية التعاونية.

واحذر عندما تقوم بتركيب طبق استقبال فوق السطوح أن تحرك طبق استقبال الجار من مكانه، إذا لم تجد مكانا فوق السطوح تستطيع أن تسرق وصلة بأربعين جنيهًا شهريًا، أو يمكنك أن تزرع حرامي الدش بالقرب من طبق الجار، لكن حاذر من أن

تزرعه أمام طبق جار مهووس كرويًا؛ لأنك لن تعرف شيئًا عن العالم إلا من خلال مدحت شلبي أو محمد شبانة على أقصى تقدير.

ستسألني عن هذه الأسماء .. هم اثنان من نجوم المجتمع، وكويس أن السيرة اتفتحت؛ لأنه بما أنك ستعيش في هذا البلد لفترة يجب علي أن أخبرك من هم نجوم مصر حاليًا.

يجب أن تعرف أن الناس تنشغل كل فترة بنجم معين.. كانت الناس تسأل منذ شهر: من الذي حصل على رشوة مرسيدس؟ ثم أصبحت تتساءل: من الذي قتل صافي سليم؟ هنا لا نعرف الفرق بين النجاح والشهرة.. الناس حافظة مش فاهمة؛ لذلك تجد عندنا مائدة رحمان للإفطار ولن تجد مائدة رحمان واحدة للسحور، ربما لأن وعد سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام كان لمن أفطر صائمًا، لكنه أيضًا قال: إن السحور به بركة، ولا أعرف لماذا يستهبل أصحاب الموائد في السحور بالرغم من أن هذا البلد يعيش منذ وعيت عليه بالبركة فقط، وفي حماية بعض منا يقولون: «لا إله إلا الله» وهم يعنوها بالفعل، المهم لا يعي الناس عندنا الفرق بين النجاح والشهرة، فكل ناجح مشهور، لكن ليس كل مشهور ناجح بالضرورة، أرجو أن تصدقني عندما أقول أن بلدنا يحظى بأكبر عدد من المشاهير وأقل عدد من الناجحين، بلدنا به أكبر كمية من

السيارات التي تحمل أرقامًا مميزة، وزجاج فاميه أسود، وستائر ثقيلة في المقعد الخلفي، لكنه في الوقت نفسه يمتلئ بحمير السواقة.

بمناسبة السيارات.. إذا اشتريت سيارة جديدة يجب أن تعرف أن القاعدة الأشهر في مصر لصيانة هذه السيارة قاعدة «التوكيل حرامية»، ويجب أن تعرف أنه ممنوع أن تدخل على لجنة (اللجنة تجمع بوليسي الهدف الأساسي منه تعطيل المرور للبحث عن المشتبه فيهم.. نجح الجزأ الأول فقط من مهمتها.. وهي مكان يتواجد فيه ضابط شرطة حصل على ترتيب متأخر في دفعته بكلية الشرطة – التي أصبح اسمها أكاديمية مبارك للأمن .. من بعدها والشرطة أصبحت أكثر قسوة في التعامل مع الشعب- ويقف مع هذا الضابط عدد ٤ أمناء شرطة وهم فئة تثبت أن الله عادل، فمثلما خلق لكل داء دواء خلق لكل سواق ميكروباص أمين شرطة .. المشكلة أنه هذا الدواء يعالج سوء أدب واستبياع قائدي الميكروباص، لكنه يحفل بأعراض جانبية قاتلة مثل الشعور بحاجة ملحة لابتلاع أي شيء إذا رأيت واحدًا منهم) المهم ممنوع الدخول على اللجنة وأنت مشغل النور العالي، لكنك تستطيع ألا تتوقف في اللجنة أصلًا إذا كنت تمتلك صلاحية سؤال: «أنت مش عارف أنا مين؟» .

ويجب الحذر من أتوبيسات النقل العام أثناء قيادتك؛ لأنك في حالة تعرضك للاصطدام به ستخسر كثيرًا؛ لأن قائدي هذه المركبات تلقوا تدريبًا مكثفًا على هذا الموضوع، فإذا صدمك وقررت أن تضربه ستكون وقتها متورطًا في الاعتداء على موظف حكومة أثناء تأدية وظيفته، وإذا أمسكت به قائلًا: استنى لحد ما يجي أمين شرطة ونعمل محضرًا.. ساعتها هيهبط من الأتوبيس (سعة ٥٢ راكبًا) مش أقل من ٢٠٠ مواطن مدربين على ترضيتك واستعطافك أولا .. فإذا فشلوا في هذا الجزأ ستجدهم يجمعون على أنك «أنت الغلطان على فكرة» .

وللعلم.. من العادي أن تكون الإشارة حمراء، «والناس كلها واقفة»، لكن القانون منح الحق لمن يقف خلفك، «إنه يدي لك كلاكسات علشان يعدي منك»، لا تسأل نفسك: «هو عايز يعدي مني يروح فين والدنيا واقفة؟» فهذا سؤال وجودي لن تعرف له إجابة مثل السؤال الشهير: يا لجنة الحكام .. الأهلي بيدفع كام؟

أما بالنسبة للتصادمات التي قد تتعرض لها مع سيارات ملاكي، فإليك التالي: «لو فيه عربية حكت فيك حكة بسيطة اوعى تطنش، ولازم تنزل تتمختر حوالين عربيتك، وتمثل أنك متضايق، وبعدين تحدد الري أكشن بتاعك على حسب اللي خبطك»، يعني «لو كان باين عليه الأدب وأنه متأثر وندمان على اللي عمله اعمل أنك قلبك

كبير ومتسامح وارجع عربيتك وأنت بتضرب كف بكف وبتهز دماغك، زي بندول ساعة الحيطة.. ولو كان باين عليه أنه مفتري وناوي يغلطك أنت يبقى ما فيش مفر من خناقه .. وإحنا نعمل محضر ونشوف مين الغلطان.. أما إذا كانت العربية سايقاها واحدة ست فمافيش داعي تنزل من عربيتك؛ لأنك مش هتأخذ لا حق ولا باطل».. عمومًا حاول أن تتفادى السير خلف سيارة تقودها امرأة مصرية؛ لأنها تقودها غالبا بعشم أم تتمخطر في فرح ابنها.

وضع فى يقينك أنه من حقك أن «تدي إشارة» بعد الملف وليس قبله، وتذكر دائمًا أن الإشاره اليمين لا تعني بالضرورة أن صاحبها هيدخل يمين، أما الإشارة الشمال فالمفاجأة أنها لا تعني أيضا بالضرورة أن صاحبها هيدخل شمال..» الإشاره اليمين ساعات معناها: اطلع من دماغي وعدي، والإشارة الشمال ساعات بيبقى معناها انسَ أنك هتعدي مني النهارده.

واعلم يا صديقى أنك عندما تعود لسيارتك وتجد «المساحات مرفوعة» فثق أنك ستجد في خلال ثوانٍ شخص ما يطالبك بأجرته عن المجهود الذي بذله في رفعها، وكن واثقًا من أنه مسموح بالكلام في الموبايل على أي طريق سريع، لكنك ستتعرض لمخالفة إذا ضبطك أمين شرطة تتحدث فيه أثناء وقوفك في إشارة عقيمة من إشارات وسط المدينة.

طبعا في كل بلاد العالم معروف سلفًا إن «اللي يسأل ما يتوهش».. لكن في مصر قد تجد نفسك فجأة خارج الكوكب إذا سألت شخصًا عن العنوان، في كل بلاد العالم تسأل عن الطريق فتحصل على إجابة، لكن في مصر ستحصل على سؤال جديد: «أنت إيه اللي جابك من هنا؟» أو: «هما قالوا لك فين؟» أو «ما تعرفش جنب إيه؟».

ويجب أن تعرف أن سائق سيارة الوزير يُعامل معاملة الوزير، وهذا ليس ظلمًا، فأنت في بلد ينعم بالعدل.. يكفيك أن تعرف أنه في مصر دونًا عن سائر بلاد العالم إذا كنت فوق أحد الكباري- أيًا كانت مكانتك الاجتماعية- وفاتك منزل مهم (مثل نزلة غمرة)، فمن حقك أن ترجع بظهرك على الكوبري وتنزل دون أن يعترض أحد.

أعرف أنك تحمل هم المصاريف في مصر، هي صعبة لكنها لن تقودك إلى التسول، وإذا اضطررت إليه.. ممنوع التسول أمام المصالح الحكومية، لن تجد شخصًا يتعاطف معك؛ لأن الناس تخرج من هذه الأماكن كفرانة، فيما عدا ذلك نحن شعب طيب، فنحن الشعب الوحيد الذي يشتري «ماء تواليت» في زجاجات ولها ماركات شهيرة مثل الشبراويشي، ونحن شعب مضياف، شعارنا في التجمعات: «اقعدوا بالعافية»، ونحن الذين نشك دومًا في الشحاتين، ونغلق آذاننا أمامهم، بينما نذهب إلى النصَّابين

بأقدامنا، ونستحلفهم بالله أن ينصبوا علينا، ونحن الذين وافقنا على مبدأ أن القانون لا يحمي المغفلين، ولم يكن هذا نكاية في المغفلين، بل كان من أجل توفير فرصة عمل للبلطجية القادرين على استرداد الحقوق الضائعة بمهارة يحسدون عليها، في كل الأحوال أرجوك لا تشعر بالقلق من الزحام، فنحن شعب نزيد بمعدل أسرع من المعدل الذي زادت به اتصالات في ٣ سنين؛ لأننا لم نقتنع بشعار: «قبل ما نزيد مولود نتأكد أن حقه علينا موجود»؛ حيث إن الموجودين منذ سنوات أصلًا حقوقهم ضائعة، ونحاول أن نحسن أوضاعنا بزيادة أعدادنا كما فعلت الصين، لا يوجد صيني واحد لديه شك في أن المولود الجديد سيزيد دخل أسرته؛ لأن الرك على الحكومة التي تجيد استعمال هذه الزيادات، ونحن نستخدم هذه الزيادات بعقلية محدودة، فنمنحهم الفرصة للعب أدوار مجاميع في المسلسلات التاريخية أو لعب دور حائط بشري عند مرور تشريفة السيد الرئيس أو أتوبيس المنتخب الوطني، ونتخلص من الفائض بالحرائق الجماعية في القطارات والمسارح أو العبَّارات المثقوبة، أو عن طريق صخور جبل المقطم.

عمومًا عندما تنوي أن تقضي مشوارًا في شوارع القاهرة ابتعد عن ساعات الذروة (من ٨ صباحًا- حتى الحادية عشر مساءً)، وإذا اضطرتك الظروف للحركة في غير هذه المواعيد فلا تطلب

تاكسي، ولكن اطلب ديلفري ماكدونالدز، وتفادى أن تضطرك الظروف لأن تسلك الطرق التالية (نزلة المحور في ميدان لبنان – كوبري أكتوبر – إشارة العباسية – شارع الأزهر – إشارة رابعة العدوية – ميدان الحلمية – نزلة رمسيس – ميدان الإسعاف – دخلة فيصل – ميدان الجيزة)، فيما عدا ذلك يمكنك التحرك براحتك في أي مكان أو أي وقت يحلو لك، لكن لا تعطي وعدًا لأحد بموعد ما لأنك ستفقد مصداقيتك بمرور الوقت، ومن أجل الالتزام بموعد مع شخص ما لأمر يهمك يفضل أن تبات قبلها بليلة في أقرب نقطة من مكان اللقاء، عمومًا لا تشغل بالك بموضوع المواعيد؛ لأن الفكرة اتضربت مننا خلاص، فقد صرنا نعطي بعضنا مواعيد خرافية مفتوحة لا يملك أحد أن يمسك بك متورطًا بعدم الوفاء بها مثل (بكرة العصر .. بعد الماتش.. على تمانيات .. على عشرة حداشر .. هأكلمك وأنا في الأنحاء .. أول ما أبقى عندك هأرن لك .. هأخلص ونتقابل ... هأريح ساعتين وآجى لك)، حتى في السينما (حفلة تسعة تبدأ عشرة وربع)، هناك دائمًا فرق توقيت لا يقل عن ساعة ولا يزيد عن أسبوع، ربما ستندهش لأن الشخص الذي غير وجهة نظر العالم في موضوع الوقت واخترع وحدة قياس للوقت جديدة اسمها الفيمتو ثانية كان مصريًا (د.أحمد زويل)، الأنقح أن مخترع لعبة اسمها كرة (السرعة) مصري أصلًا، لا تندهش ولا تحاول أن تربط بين زويل وكرة السرعة وطبيعتنا كمصريين لأنك تعرف جيدًا أن الإبداع يتولد

من رحم المأساة، والمأساة أكبر مما تتصور، يكفيك أن تعرف أنه في مصر فقط دونًا عن سائر بلاد العالم القطن على العروسة لكن أجرة التنجيد على العريس.

بالمناسبة.. قبل أن تسقط مريضًا تأكد من وجود ١٠٠٠جنيه في جيبك على الأقل وهو الحد الأدنى لقبول أي مريض في مستشفيات التأمين الصحي، وبالنسبة للمستشفيات العامة يفضل التأكد من مؤهل الطبيب قبل التعامل معه، وينصح بعدم الاكتفاء باستشارة طبيب واحد، وعند إجراء عملية جراحية لابد أن تطابق العدد والآلات والفوط الموجودة في غرفة العلمليات قبل وبعد العملية حتى تضمن أن الجراح لم يترك أيًا منها بداخلك، ويفضل أيضًا أن تطابق أعضاء جسمك قبل وبعد العملية حتى تتأكد أن الجراح لم يهرب بأي منها عقب الجراحة.

في السينما ممنوع اصطحاب الحيوانات، لكن مسموح باصطحاب البيبهات الرضع إلى حفلات منتصف الليل، وحقيقى أن دخول السينما حق مكفول للجميع، لكن إذا كنت تريد أن تستمتع بالفيلم ابتعد عن مشاهدته في أي حفلة مع شباب خليجي.

في صلاة الجمعة ممنوع التحدث إلى من جوارك خلال الخطبة، لكن يمكنك تلقي رسائل عبر المحمول والرد عليها، ممنوع أن

تكون منافقًا أثناء الصلاة، لكن من الممكن أن تفرد صحيفة قومية وتصلي عليها.

حاول ألا تسخر من المنايفة، فهم مركز قوى، وممنوع أن «تتناصح» على الدمايطة، فهم أنصح العالمين (يقال: إن تاجر يهودي نصب على تاجر دمياطي، وباع له شحنة من مشدات الصدر، فما كان من الدمياطي إلا أن أعاد تصديرها لليهودي كشحنتين من طواقي الرأس التي يرتديها الحاخامات)، ممنوع العند مع الصعايدة، فأنت تقف في وجه جبل جرانيت، ممنوع الـزواج من أهل النوبة لأنهم لا يزوجون بناتهم خارج القبيلة النوبية، وممنوع استخدام لفظ رشوة لتسيير مصالحك.. يمكن استخدام مصطلح (هدية للولاد) إذا كان الموظف يشغل منصبًا كبيرًا، أو مصطلح (الشاي) إذا كان موظفًا بسيطًا، تعرف جيدًا أنه «لا خاب من استشار» .. لأ في مصر بالذات خاب، فلا تستشر أحدًا في بلد بها ٨٠ مليون مفتي، واشترِ دائمًا من بائع لا يعرفك سيحاول أن يكسبك في أول مرة كزبون بتقديم أفضل خدمة، ثم يستدرجك إلى البضاعة التالفة بالتدريج في الزيارات القادمة، أما إذا كنت من المهتمين بالكتب فيجب أن تعرف أنه ممنوع أن تنشر صحيفة الشروق في قائمة الكتب الأكثر مبيعًا أي كتاب ليس من إصدار الشروق؛ لذلك لا تعتمد عليها كثيرًا .

ممنوع الاعتراض على الحكم أو الحاكم؛ ووجه الشبه بين الاثنين في مصر أن كلاهما قد يحتاج إلى الشرطة لتأمين خروجه من الملعب!!، وممنوع التعليق على شيئين: الأغاني التي يستمع إليها قائد التاكسي الذي تركبه، وأحكام القضاء.. ممنوع التعليق بالسلب تحديدًا، لكن ممكن تعلق بالإيجاب، من الممكن أن تقول للقاضي: «على الكاسيت يا أسطى»، ومن الممكن أن تهتف في وجه السائق عند نزولك: «يحيا العدل».

صديقي سليم ....

يحكمنا الآن السيد الرئيس محمد حسني مبارك، وفى ١٧ أكتوبر ١٩٨١ عندما تولى سيادة الرئيس حكم مصر، كنت طفلًا طلبت منه المعلمة في حصة الخط أن يكتب على السبورة جملة من اختياره فكتب: (قدامك سكة سفر)، وهو ما حدث بالفعل، أنهيت دراستي في ظل أربعة وزراء للتعليم، وشهدت زلزالًا مدمرًا حصد أرواح العشرات، وهلَّلت مع الجماهير لوصولنا إلى كأس العالم على يد الجوهري، قبلها كانت خريطة الغناء تغيرت مع ظهور حميد الشاعري، في الوقت نفسه الذي كان فيه الكابتن حسن شحاتة يقود فريق المنيا للصعود إلى الدرجة الأولى قبل أن يكون شحاتة سببًا في ميلاد عشرات قصص الحب في جنبات استاد القاهرة في ٢٠٠٦، وبالرغم من كل هذا الحب ارتفعت خلال الأعوام

الثمانية والعشرين نسبة الطلاق والعنوسة كما ارتفعت الأسعار بانتظام، ويمكن معرفة ذلك من سعر تذكرة العودة إلى بلدتي في القطار التي سافرت منها بعشرين جنيهًا، وأسافر إليها الآن بخمسة وستين، هذا في حال عثوري على تذكرة في الشباك أصلا، وفي إحدى رحلاتي مررت بالقطار المحترق، كنت أستقل القطار الذي يسبقه.. أما السفينة الغارقة فقد استمعت إلى مكالمة الاستغاثة الأخيرة من قبطانها بفضل الثورة التكنولوجية الهائلة التي ظهرت بعد سنوات من بداية سنوات حكم الرئيس بدخول مصر عصر الفضائيات، ثم عصر الإنترنت، ثم عصر الفيس بوك واليوتيوب، قبلهم ظهر الموبايل، وقد استهلكت خلال الأعوام الماضية ثمانية معدات، بدأت بالمعدة ذات الإيريال، وانتهيت عند عدة أهم ما فيها إذاعة نجوم إف إم التي أعادت العلاقة بين المصريين والراديو من جديد، وغيرت رقم هاتفي أربعة مرات لأسباب لها علاقة بأن المناخ العام أصبح يسيطر عليه حالة من التطفل المجاني.

ثمانية وعشرون عامًا، تم تكريم يوسف شاهين في «كان»، وحصل نجيب محفوظ وزويل على نوبل، وتولى بطرس غالي قيادة الأمم المتحدة، والبرادعي قيادة هيئة الطاقة الذرية، وزارتنا السيدة فيروز مرة واحدة، ويبدو أنها أقسمت ألا تكررها فاستبدلها منظمو الحفلات بشاكيرا، وستينج، وبيونسية، وبوتشللي، وأنريكو

أجلاسيس، وعروض والت ديزني على الجليد.. تعرضنا لخسائر بشرية موجعة بفقداننا لكثيرين؛ محفوظ متأثرا بطعنات قديمة تلقاها على يد مكفريه، ومحمود عوض وحيدا فى منزله، مات جمال حمدان محترقًا، وجاهين مكتئبًا، وأحمد بهاء الدين عاجزًا عن الحركة، وسعاد حسني غريبة عن وطنها، وسعاد نصر بجرعة بنج زائدة، ومحمد عبد الوهاب إثر سقوطه على الأرض بقوة بعد أن تعثر في إحدى سجاجيد بيته، ورفعت المحجوب وفرج فودة على يد الإرهابيين، وسليمان خاطر في زنزانته، وأحمد زكي قبل أن ينهي تصوير حليم، ويحيى الطاهر عبد الله في حادث سيارة، وعاطف الطيب في سن الأربعين، وفقد كل واحد منا شخصين على الأقل من أفراد عائلته.

ظهرت بيننا مخلوقات جديدة مثل السلعوة، وشهدنا خسوفين للشمس، وأول تحليل للدي إن أيه في المحاكم لتصبح قضايا إثبات النسب هي الموضة، وكان ذلك منطقيًا؛ لأن الموضة التي سبقتها كانت الزواج العرفي، خضنا حربًا واحدة في الخليج حررنا فيها الكويت الحمدلله ، لكن الجيش تدخل قبلها للسيطرة على شغب جنود الأمن المركزي في بداية الثمانينيات، ثم عاد وتدخل منذ عام للمساعدة في حل أزمة رغيف العيش، استقر العراقيون بيننا، وكانوا أفضل من سكن مصر من الإخوة العرب ولم يعبهم شيء

سوى أنهم تسببوا في ارتفاع أسعار العقارات، فرحنا بدخول المترو لكن معظمنا يشعر بإحباط يومي في ميدان لبنان، ويتمنى أن يصل المترو إلى أكتوبر وضواحيها التي تتسع يومًا بعد يوم في الوقت الذي تتآكل فيه الرقعة الزراعية بمعدل سيقودنا سريعًا إلى اليوم الذي لن يكون فيه فلاحون إلا في القرية الذكية!!

خلال الأعوام الثمانية والعشرين دخلنا في ألفية جديدة استقبلناها بحفل ساذج عند سفح الهرم، تغيرت بعدها خرائط كثيرة في مصر، في الفن أصبح هناك نجم للجيل كاد تهرُّبه من التجنيد أن يفقده جماهريته، لكن المفاجأة أن تهربه وطد نجاحه، وزاد من عدد محبيه في إشارة مهمة لتضاؤل حجم تقدير الوطن في قلوب الجيل الجديد، انتهت موضة أفلام المخدرات وظهرت الكوميديا، ويلفظ المسرح أنفاسه الأخيرة تحت وطأة المربع الذي يخيم على حياتنا (الفقر، والجهل، والمرض، والمسلسلات بنوعيها العربي والمكسيكي)، انتهت ظاهرة أفلام المقاولات، ثم ظاهرة أفلام السوبر جيت، وظهر الفيديو كليب، ثم راحت زهوته وظهرت كليبات المحمول؛ كان أشهرها لمواطن تضع الشرطة عصا في مؤخرته، انتهى عصر الشواربي، وبدأ عصر سيتي ستارز وأشباهه، لكن بقيت وكالة البلح صامدة بفضل دعم البسطاء لها، لم نحقق فكرة المدينة الفاضلة، لكننا نجحنا في تحقيق

فكرة مدينة الحرفيين.. تغيرت خريطة الترفيه ودخلت محطات البنزين في اللعبة، هناك يمكنك أن تبدأ اليوم بأصناف شتى من القهوة المستوردة، وانتهى عهد المعمورة والعجمي والمنتزه مع انطلاق ظاهرة «البورتو» في مارينا والعين السخنة، انتهى عصر المقاهي التي تُقَدِّم السحلب والطاولة مع انتشار كافيهات البلاي ستيشن والفرابتشينو.. تغيرت خريطة السير؛ أصبح القصر العيني شارعًا ذا اتجاه واحد، وزود كوبري أكتوبر بملاحق ومنازل ومطالع عديدة إلى أن ظهر المحور والدائري، لكن المثير للجنون أن الزحام يزداد مع ظهور كل طريق جديد.. تغيرت خريطة الدين عدة مرات، هناك من اتبع التيار المتطرف بكل ما فيه من عنف وقسوة، وهناك من اتجه لعبادة الشيطان، ثم اعتدلت الأمور قليلًا بظهور مشايخ الفضائيات إلى أن عادت النبرة المتشددة من جديد على يد بعضهم في الوقت نفسه الذي كان البهائيون فيه يحاربون من أجل تغيير خانة الديانة في البطاقة الشخصية حتى يحافظوا على هويتهم بعيدًا عن محاولات التنصير والأسلمة التي تشعل كل يوم حربًا خفية في الأقاليم.. تغيرت خريطة التعليم بإلغاء السنة السادسة، ثم إلغاء شُعبتي العلوم والرياضة، ثم بقرار الحصول على الثانوية العامة على سنتين قبل أن تظهر الجامعات الخاصة.. تغيرت خريطة النظافة فلم نعرف التلوث إلا بعد استحداث منصب وزير البيئة، طال التلوث كل شيء في حياتنا بداية من الدم مرورًا

بالماء والغذاء والهواء نهاية بالذمم.. تغيرت خريطة الرجولة بظهور فن البلطجة، وتغيرت خريطة النساء بثورة عمليات النفخ والزرع، وتغيرت خريطة العلاقة بين الطرفين بظهور الفياجرا.

تغيرت أشياء كثيرة خلال تلك الفترة، لكن سيادة الرئيس كان الشيء الوحيد المستقر في حياتي، أصبح سيادة الرئيس قطعة من تاريخي الشخصي لا يمكن تجاهلها، صحيح أنني لا أعيش الحياة التي أحلم بها لنفسي وللآخرين، لكنني في الوقت نفسه أسأل: هل كان من الممكن أن تصبح الأمور أسوأ؟ سؤال إجابته سؤال آخر: هل كان من الممكن أن تصبح الأمـور أفضل؟ الإجابة صعبة، خاصة وأن الطريق من السبورة حتى لحظة كتابة هذا الرسالة لم يكن به أي شيء واضح على الإطلاق.

عزيزى سليم...

نحن دولة مسلمة بالرغم من أن الناس كلها كفرانة، وتشريع القوانين هنا بما يرضى الله بغض النظر عن أنه لا يوجد نص قانوني يجرم الشذوذ الجنسي، لكن يوجد بالقانون مـادة تحدد المواصفات القانونية لبدلة الرقص الشرقي، وعمومًا نحن شعب متمسك بالوحدة الوطنية، (وليس هناك دليل على الوحدة الوطنية أقوى من أن أحد أهم الرموز الاحتفالية الإسلامية والذي نطلق

عليه لقب «فانوس» هو اسم قبطي شائع في بلدنا)، ونؤمن بالعدالة الاجتماعية بحيث إن الفقراء يـزدادون فقرًا والأثرياء يزدادون ثراء، ونحرص بشدة على حقوق العمال فالقانون ينص على أن يضم مجلس الشعب ٥٠٪ عمال .. كنا نعتقد أنهم يجب أن يتواجدوا داخل المجلس فاكتشفنا أنهم يتواجدون على رصيف المجلس للاعتصام، ومن المهم أن تعرف أنه ممنوع ممارسة نشاط سياسي أو قيام أحزاب سياسية على أية مرجعية دينية أو أساس ديني حتى لو عرفت بالصدفة أن هناك ٨٠ نائبًا إخوانيًا في مجلس الشعب... (الإخـوان ينجحون دائمًا في الانتخابات رغم تنبيهات الحكومة المستمرة وتأكيدها على أن (الدين ما بيدخلش في المجموع)؟!

العملة الرسمية (الجنيه) وهو تعبير مشتق من (الجن) لصعوبة الإمساك به، وأطلق عليه مؤخرًا لقب (جندي)، يقال مثلا: (علبة السجاير بعشرة جندي)، وذلك لأن الجميع يقفون أمامه (انتباه)!! الظروف صعبة مما يجعل الزي الرسمي للمصريين هو: (لبس الشغل).

اللغة العربية هي اللغة الرسمية، لكن الهذيان هو اللغة الشعبية.

والبلد تبلغ مساحته مليون كيلومتر مربع.. استطعنا بعد ٧٠٠٠ سنة أن نشطب ١٠٪ من هذه المساحة لنعيش عليها، لنا حدود شرقية يهج إلينا عبرها سكان الأرض المحتلة، وحدود جنوبية

يهج إلينا عبرها ضحايا الحرب الأهلية في دارفـور، وحدود غربية صحراوية يهج إلينا عبرها أسراب الجراد كل ربيع، أما حدودنا الشمالية فهي بطول شاطئ البحر المتوسط وعبرها يهج المصريون من البلاد كل فترة في زوارق صغيرة.

مع أطيب تمنياتي لك بإقامة سعيدة.

في فرح أخت برما

دعاني برما لفرح شقيقته في أحد شوارع عين شمس الشرقية.

وقفت بالسيارة عند أول شخص شعرت تجاهه بالارتياح لأسأله عن العنوان، سألني رايح فرح فلان؟ أدهشتني فراسته، قال لي: إنه معزوم أيضًا، دعوته للركوب ولمحت أسفل الجاكيت طبنجة، ابتسم وعرَّفني بنفسه (أمين فلان)، كان طول الطريق يلوِّح لسكان المنطقة من شباك السيارة، وأشهد أن شعبيته كانت تدعو للغيرة.

عاتبني برما على التأخير، واختار لي مقعدًا قريبًا من مقطورة السيارة النقل التي تحوَّلت إلى مسرح يحمل كوشة العروسين والفرقة الموسيقية، ثم عرَّفني على شركاء المنضدة وهم زهرة شباب المنطقة معظمهم أصحاب محلات أدوات صحية في الفجالة، وكان إلى جواري الحاج سعيد الذي عرفني عليه صديقي قائلًا: (ده الحاج سعيد.. الحاج سعيد بأه مش عايز أقول لك)، لم يقل لي صديقي بالفعل أي شيء وتركني أستكشف الحاج سعيد بنفسي، انصرف صديقي، فانهالت عليَّ من كل صوب واتجاه السجائر الملفوفة، اعتذرت بلباقة فأخرج الحاج سعيد شريط دواء به حبات خضراء اللون، وأمسك يدي وأفرغ فيها حبتين في صمت، كاريزما الحاج سعيد حالت بيني وبين الاعتراض فوضعتهما في جيبي، وتأملت وجهه وكان باديًا أنه قد ابتلع شريطًا بمفرده على الأقل منذ بداية الفرح.

كانت الضوضاء محكمة والفرقة في أوج نشازها بقيادة مطرب كان نسخة من الكابتن سيد معوض، تراصت أمامي أطباق لحمة الرأس والكفتة المشوية وزجاجات البيرة، وصعد الحاج سعيد إلى المسرح لإلقاء التحية وعمل واجب (النقطة)، وجَّه تحية إلى الإذاعة والتليفزيون وهو ينظر ناحيتي (عرفت فيما بعد أنه كان فاكرني الأستاذ علاء بسيوني، صحَّحت له المعلومة، سألته إشمعنى علاء بسيوني؟ فقال لي: أصلك مارضتش لا تشرب ولا تضرب!).

الحاج سعيد كان يرتدي طاقية سقطت منه أثناء اندماجه في الرقص، فاكتشفت أن رأسه شبه مشوهة، سألت برما، فقال لي: دي قصة قديمة، الحاج سعيد كان يقدم التحية في أحد الأفراح، وأصر أن يرقص بأنبوبة البوتاجاز المشتعلة فأمسكت النار في شعر رأسه، لكن أحد شركاء المنضدة صحح المعلومة قائلًا: (يا معلم، ده كان يوم فرح الحاج سعيد نفسه).

صعد شخص ما إلى المسرح، وألقى بالتحية والنقطة، وطلب أن يرقص على أغنية وديع الصافي (دار يا دار .. راحوا فين حبايب الدار)، وما أن بدأ الكابتن سيد في الغناء حتى انقلبت الليلة جحيمًا، صعد برما وأقاربه وحدثت مشادة مع صاحب التحية سرعان ما انقلبت إلى مشاجرة حامية تلقَّى خلالها المطرب صفعة طائشة جعلته ينزف من أنفه، تدخل صديقي أمين الشرطة

وفض المشاجرة وصرف صاحب التحية، وأصر المطرب على الانصراف، وفشلت كل محاولات استرضائه، ولم يتركوه يرحل إلا بعد أن أعاد العربون، فهمت فيما بعد أن سوء اختيار الأغنية هو السبب، فمن غير اللائق أن تكون أغنية التحية في فرح هي أغنية تتحدث عن حبايب الدار الراحلين خصوصًا وأن العروسة يتيمة الأب والأم، الأمر الذي أثار انزعاج أقاربها خوفًا على مشاعرها في ليلة فرحها.

الحاج سعيد أصر أن يحضر ابنه هاني جهاز الكمبيوتر من البيت ليلعب عليه كل الأغاني الممكنة حتى الصباح، هاني أحضر الجهاز بالفعل وقام بتوصيله على السماعات، وأعلن في المايك أن الدي جيه هاني سعيد بيقول: إن (الفرح لسه هيبتدي)، فعمت الفرحة أرجاء المكان، وظهرت من جديد السجائر الملفوفة، وتراصت زجاجات البيرة، وانتعشت الأجواء، أعلن الدي جيه عن الأغنية التي اختارها العروسان ليرقصا عليها، ودعا المحبين للصعود لمشاركتهما الرقص، وكانت الأغنية (سيجارة بني)، كان جهاز الكمبيوتر محملًا بفيروس، فكان يصدر بانتظام صوت جرس الويندوز الشهير الذي يحذرك من الفيروس، كانت الأغنية شغالة وكان الجميع سعداء وفي حال اندماج رغم جرس الإنذار المتكرر (تخيله في السماعات الكبيرة)، بعد قليل بدأ صوت الجرس

المزعج يذوب في إيقاع الأغنية وأصبح مألوفًا للجميع ماعدا أنا، كنت أشعر بانزعاج، نظر لي الحاج سعيد، ويبدو أنه قرأ أفكاري فقال لي بثقة وببطء: (تلاقيها بس وساخة في الشريط!).

كان لابد أن أشارك في الرقص ففعلت، كنت أشعر بخجل ما في البداية، لكنني لمحت في الوجوه أُلفة صادقة وسعادة انتقلت لي بسرعة العدوى، فتركت نفسي للموسيقى المختلطة بريمكس جرس الويندوز، ورقصت وأنا أردِّد كلمات الأغنية (يا عم ولع .. يا سيدي ولع)، لمحني الحاج سعيد فاقترب مني وأفرغ في قبضتي كمان حبتين.

شلة الـ ٢٥

قلت له: حدثني عن أصدقائك يا برما.. فتنهد بعمق، ثم قال:

(١) عندي صديق لا يشرب الخمور لأنه يصلي؛ لذلك فهو يدخن الحشيش؛ لأنه لا يترك رائحة في الفم، وهكذا يستطيع صديقي أن يقف بين يدي الله وهو مستريح الضمير، هذا الصديق نفسه يرفض مبدأ «الصحوبية» المنتشر بقوة بين الأولاد والبنات هذه الأيام، ويتجنب إقامة علاقة غير شرعية مع أي فتاة خوفًا من الزنا؛ لأنه يجلب الفقر والعملية مش ناقصة؛ لذلك فهو يتحايل على الفقر ويرضي رغبته الجنسية بمشاهدة الأفلام الجنسية، وهكذا يستطيع أن يظل في نظر نفسه وأمام الله شخصًا عفيفًا يستحق رزقًا واسعًا.

(٢) بخلاف صديق آخر يكره الفتيات غير المحجبات ويراهن متعاليات على الدين؛ لذلك فكل صديقاته على الفيس بوك من المحجبات فقط، بخلاف صديقي الذي يتخذ موقفًا واحدًا من المحجبات وغير المحجبات فهو يحترمهن جميعًا، ويرى الموضوع حرية شخصية، لكنه يكره وبشدة الفتيات اللواتي كن محجَّبات، ثم تخلين عن الحجاب .. هنا تنتهي حدود الحرية الشخصية في رأيه؛ لأنه يرى في التنازل عن الحجاب بعد ارتدائه إهانة للدين كله.

(٣) بخلاف صديق يرى أن البنات لن يتوقفن عن ترديد نغمة أن ارتداءهن للملابس المكشوفة لا يبرر معاكستهن أو التحرش بهن إلا عندما يظهر جيل من الشباب يسير في الشارع بالبوكسر.

(٤) بخلاف صديق آخر يعتقد أننا قد متنا وتمت محاسبتنا وكانت ذنوبنا كثيرة، فدخلنا النار التي نعيش فيها الآن تحت اسم (مصر)، بينما استقر الذين دخلوا الجنة في دبي، ويؤكد على أننا دخلنا النار بأن طعم شجر الزقوم لا يختلف كثيرًا عن الخضروات والفاكهة التي تم ريها بماء المجاري، وتم نفخها بالهرمونات فتملأ البطون، أما الماء الذي يزيد سكان النار عطشًا فهو حولنا في كل مكان، ويكفيك أن تفتح الحنفية لتشرب فلا ترتوي بل لتمرض، هذا الصديق يؤمن أنه يعيش في النار، وعندما قلت له: هل دخل أبوك وأمك وأقاربك الصالحون الطيبون النار أيضًا؟ قال لي: إن وعد الله الحق أن الجميع واردها حتى لو كان المستقر الأخير في الجنة.

(٥) بخلاف صديق آخر يؤمن أن الصعود إلى القمر كذبة كبيرة وخدعة تليفزيونية تعتمد على تقنيات الجرافيك بالضبط، مثل: مؤتمرات القمة العربية، وقال: لو كنا استفدنا شيئًا من الصعود إلى القمر كنا استفدنا من مؤتمرات القمة، ولكن كلاهما وهم.

(٦) بخلاف صديق ضاع عمره وهو يحاول أن يعرف هل يستيقظ فيفتح عينيه أم يفتح عينيه فيستيقظ، هذا الصديق نفسه يؤمن أنه عند النوم تخرج الأرواح لتدخل أجساد القطط، ويبرر ذلك بأن سلم عمارته لا يمتلئ بالقطط إلا ليلا بعد نوم معظم الجيران، بينما لا يرى واحدة منهن صباحًا.

(٧) بخلاف صديق يؤمن أن عمليات التجميل خطر؛ لأنه من الوارد أن تتوفى أي واحدة بجرعة سيليكون زائدة، هذا الصديق يؤمن أيضًا أن كل الدراسات التي قرأها عن أخطار التدخين صحيحة بدرجة كبيرة؛ لذلك فقد اتخذ قرارًا بالتوقف عن القراءة.

(٨) بخلاف صديق حياته كلها مشاكل.. مشكلته مع اللحظات الدرامية المؤثرة في حياته هي عدم وجود موسيقى مناسبة في الخلفية، و(مشكلته) مع أهله أنهم أتعبوا أنفسهم ليعلموه المشي والكلام، ظن أنهم سيستريحوا بعدها لكنهم أتعبوا أنفسهم أكثر ليعلموه أن (يقعد على حيله ويخرس خالص)، ويواجه (مشكلة) في الإقلاع عن المخدرات، ومبرره أنه يقول دائمًا: لا للمخدرات. بس واضح أن المخدرات مش سامعاه.

(٩) بخلاف صديق قال لي: إن الأطفال نعمة، وقال: لا أعرف كيف سيكون العمل بعد أن قررت الدولة رفع الدعم عن المولود

الثالث في كل عائلة كوسيلة لإجبار الناس على تحديد النسل حسب تصريحات المصيلحي، ولن يحصل الطفل الثالث على أي حصة تموينية (يبقى يأكل مع إخوته)، ولن يتعلم بمصروفات حكومية (يبقوا إخوته يذاكروا له)، لكنه بلا شك سيؤدي الخدمة العسكرية وسيدفع الضرائب ..إلخ، المولود الثالث.. الحكومة لا تعترف به لكنها ستسخدمه وقت اللزوم.. بالضبط زي جماعة الإخوان المسلمين.

(١٠) بخلاف صديق لم يعد يثق في الحكومة بعد قانون الطوارئ، وقال : في كل مول أو سنتر أو مستشفى أو فندق ستجد دائمًا سلمًا مكتوب عليه (سلم الطوارئ)، أو باب للطوارئ، ستجد دائمًا مخرجًا يحميك في حالة الطوارئ، لكن مصر هي المكان الوحيد الذي يوجد فيه طوارئ دون أن يكون هناك أي مخرج، الحقيقة أنا لا أفهم أن نعيش كلنا مهددين ومعرضين لمن يجيد لي عنق القانون ليطبق علينا قانون الطوارئ ولو في صورته الجديدة (الإرهاب والمخدرات)؛ لأن الطوارئ التي نعيش فيها وتخنقنا منذ ثلاثين عامًا لم تمنع لا الإرهاب ولا المخدرات، المفاجأة أن الطوارئ التي هرستنا واحدة من أهم الأسباب التي قادتنا إليهما.

(١١) بخلاف صديق يرى أن بطولة الأمم الإفريقية نذير شؤم، مع انتصاف البطولة هناك دائمًا كارثة، في ٢٠٠٦ غرقت العبارة، وفي ٢٠٠٨ اقتحم الفلسطينيون مدينة رفح، وفي ٢٠١٠

داهمتنا السيول، ومع ذلك فقد فسرت له المتابعة الدقيقة للماتشات سر الهجوم على أي شخص ناجح، فكل من في الملعب لا يهاجم إلا الشخص اللي معاه الكورة (وهذا بالمناسبة هو أفضل تعريف للناجح)، أما المتميز فهو الشخص الذي يفشل الناس في تصنيفه، للتصنيف سقف إذا لمسته ستصبح ناجحًا، وإذا لمسته كثيرًا ستصبح شخصًا يحافظ على نجاحه، التميز أن تلمس في كل مرة سقفًا جديدًا.

(١٢) بخلاف صديق يؤمن أن «البياعين نوعان» نوع (بياع أحسن من بضاعته)، يجيد استقبالك بطريقة غاية في السمسمة، تجبرك على شراء ما لا تحتاجه تقديرًا له، ونوع (بضاعته أحسن منه) لكن تكاسله وتعاليه وقلة حماسه يجعلونك تتراجع عن شراء شيء أنت في حاجة ملحة له، لذلك يتقبل هذا الصديق من زوجته بسعادة بالغة كل ما تضعه أمامه على السفرة، فهي تنتمي للنوع الأول، لكن الزواج جعل احترامه لعمال الدليفري يزيد، فعامل الدليفري يقطع كيلومترات طويلة متعرضًا خلالها للحوادث أو للاحتكاك بأمناء الشرطة، ويقف عند باب بيتك يقدم لك طلبك، ويرضى بأقل بقشيش ممكن، بينما الزوجة تكاد تطلب منك أن تسجد لها لأنها قطعت المسافة من المطبخ إلى الصالة حاملة لك كوبًا من الشاي.

(١٣) بخلاف صديق أجابني عندما سألته: (تعرف يعني أيه كوكا كولا زيـرو) قائلا: يعني تترشح في الانتخابات عن فئة (العمال)، وتنجح فتعيش عيشة (الملوك)، يعني تبقى جماعة محظورة بس ليها ٨٠ نائبًا في البرلمان، يعني أبوك ياخدلك كشك في مصر القديمة ويحصل هبوط في الأرض يبلعك أنت والكشك، فتنزل تلاقى كنز تحت الأرض، يعني تعيش عيشة طب وتطلع تاجر، يعني تجيب جون في نفسك والحكم يحسبه أوفسايد، يعني الزمالك يمضي مع جدو وجدو يلعب للأهلي، يعني تقعد ليلة الامتحان في أي كافيه تلعب بلاي ستيشن والامتحان يتلغي علشان الأسئلة اتسربت، يعني الريس يسافر برة علشان يعمل عملية في المرارة والسولار يختفي من البلد في نفس اللحظة علشان ما حدش يستغل الفرصة ويولع فيها.

(١٤) بخلاف صديق حكى لي قائلًا: لم يكن أرشميدس نائمًا في البانيو يلعب في شعر صدره عندما صاح: «وجدتها وجدتها».. الحكاية أن الملك طلب من صائغ شهير أن يصنع له تاجًا من الذهب الخالص، وبعد أن تسلمه شك في أن الصائغ ربما يكون قد خلط الذهب ببعض الفضة، فاستعان بأرشميدس المتعلم الوحيد في المملكة، وسأله عن حل لهذا الشك الذي سيقتله، فذهب أرشميدس إلى حمام عام، وكان نادرًا ما يغتسل، وقفز في الماء

فلاحظ أن المنسوب ارتفع وفاض خارج المغطس.. شيء حدث من قبل مع شعوب من المستحمين، لكن أرشميدس وجد فيه الحل، كرر التجربة فاكتشف علاقة بين حجم الماء المزاح ووزن الجسم المغمور، وهكذا أصبح حل الفزورة سهلًا يكفيه أن يغمر التاج في الماء ومقارنة حجم الماء المزاح ساعتها بحجم الماء المزاح من غمر كتلة من الذهب الخالص مساوية لوزن التاج، رزق الله أرشميدس قوة الملاحظة؛ لأن الصائغ كان عمره قد انتهى.. فقد أعدمه الملك وأودع أرشميدس في مصحة عقلية.

(١٥) بخلاف صديق آخر يرى أنه بعد سنين خرج أرشميدس من المصحة، وأطلق على نفسه اسم حسين، وأجرى تجارب مهمة تحت شعار الخلطة غير المنطقية، وأصبح صاحب المعادلات الشهيرة التي تقول (٧٠٠ جرام سليكون+ مدير أعمال صايع (دخلّهم يا حسين)، والناتج مطربة تكسر الدنيا)، (كرتونة بيض + جهاز ديكودر (دخلّهم يا حسين) والناتج استوديو تحليلي)، (قطعة أرض صحراوية + مدير ائتمان في بنك حكومي.. والناتج ملاعب جولف)، (٨٠ مترًا قماش + سيارة نصف نقل بميكروفون .. والناتج عضو مجلس شعب)، (موبايل بجراب + جاكيت جلد .. والناتج أمين شرطة)، (طبلة وصاجات + نعي لناس ماتت.. والناتج جريدة قومية)، (طبلة مكتومة + نعي لناس عايشه ... والناتج جريدة مستقلة)، (مهاجر غير شرعي

+ سيارة نقل محملة بالبطيخ .. والناتج عصام الحضري)، (سلعوة بـ٣ أرجل + شريط حبوب مخدرة ... والناتج سواق ميكروباص)، (شـاب حاصل على بكالوريوس تجارة + تشكيلة من الصابون المعطر... والناتج دكتور صيدلي)، (مساحات عربية مرفوعة + شخص هارب من أحكام بالسجن ... والناتج باركنج)، (جهاز قياس الضغط + لبانة سكرها راح .. والناتج مشجع زملكاوي).

(١٦) بخلاف صديق يرى أن الحياة بها الكثير من المفاجآت، وقد وصل لهذه القناعة بعد أن اكتشف أن ارتـداء الأسـود على الميت تقليد يعني الحزن عليه منذ أن وعينا على الدنيا، لكن التقليد كان له بداية مختلفة حيث كان الأوائل يؤمنون أن الشخص عندما يموت تهيم روحه بحثًا عن جسد آخر لتستقر فيه، فكانت القبيلة كلها ترتدي السواد حتى تعمى الروح الهائمة عنهم وتصرفها بعيدًا، الأسود الذي قد تعتقد أنه وفاء للميت كانت بدايته مجرد ندالة.

(١٧) بخلاف صديق قرر ألا يصارح أحدًا بعيبه في يوم من الأيام.. بعد أن قرأ قصة الملك الأعور التي تحكي أن هذا الملك كان بعين واحدة وساق واحدة، طلب أن يرسم له أحد الرسامين لوحة كبيرة، جاء الأول فرسم الملك كما رآه بعين واحدة وساق واحدة، فغضب الملك وأعدمه، وجاء الثاني فرسم الملك بعينين سليمتين وساقين فغضب الملك وأعدمه، وجاء الثالث فرسم الملك

من الوضع الجانبي بحيث تظهر ساقه وعينه السليمتان دون أن يُظهر أيّـا من عاهتيه، فأعجب الملك بذكاء الرسام وأجـزل له العطاء، ثم أعدمه أيضًا.

(١٨) بخلاف صديق قال لزوجته: إن الزوج مثل النبيذ كلما مر على تخزينه وقت طويل كلما صار أكثر جودة... فكان أن خرجت وأغلقت عليه باب الغرفة من برة بالمفتاح.

(١٩) بخلاف صديق يرى أن الزواج يجب أن يكون بكروت شحن، ومن حقك عندما ينتهي الرصيد أن تشحن مرة أخرى أو أن تتخلص من الخط وتستبدله بآخر بخلاف أن الرجل يمكنه أصلًا أن يعيش بتليفون البيت فقط.

(٢٠) بخلاف صديق آخر مدمن زواج، وهو في كل مرة يتزوج فيها يعقد قرانه في مسجد السيدة نفيسة لدرجة أنه أصبح من أشهر المجاذيب في المنطقة، وقد سألت هذا الصديق عن أول زواج في حياته: (هل كان صالوناتي ولا عن حب؟) فقال لي: إنه اتجوز انفعالي، أبديت دهشتي، فقال لي: إنه تزوج في لحظة انفعال، وإنه نادم لأن انفعاله كان زائدًا، فجعله ينسى وصية جده الذي قال له وهو على فراش الموت: (اوعى تبوس واحدة غبية، واوعى بوسة تخليك غبي).

(٢١) بخلاف صديقي المستقر في زواجـه، ولم أسمع منه شكوى يومًا ما والذي قال لي: إنه مستقر في زواجه؛ لأن الستات كلها زي بعض، فقلت له: مش فاهم. فقال لي: (الزوجة عاملة زي مصطلح درجة حرارة الغرفة اللي مكتوب على علب الأدوية، عمر تفاصيل الغرفة ما بتفرق، وعمرنا ما عرفنا درجة حرارة الغرفة المفروض تبقى كـام، يبقى الواحد يخش في أي غرفة ويخلص نفسه وخلاص).

(٢٢) بخلاف صديق قال: إن العزوبية جعلت كل متطلبات حياته موجودة في محل البقالة الموجود أسفل منزله أو في (أون ذا رن) على أقصى تقدير، وكان يتوجه إليهما وهو يعرف احتياجاته جيدًا، لكن الـزواج جعله يعرف طريق هايبر وكارفور، وقال عنهما: إنه أصبح الآن يرتاد محلات بها كل الأشياء التي لا يحتاج إليها للدرجة التي تجعله ينسى هو كان عايز أيه بالضبط.

(٢٣) لي صديق آخر طلق زوجته، ثم أسس جمعية أهلية تطالب بمساواة الرجل بالمرأة، وعندما سألته عما يجعله يشعر بالظلم الذي يتعرض له الرجال قال لي: (الست عندها اختيارات كتير طول الوقت .. تكمل تعليمها أو لأ.. تشتغل أو تقعد في البيت .. تتحجب أو تبقى بشعرها .. تتجوز أو ما تتجوزش .. تخلف وتتطلق وتاخد العيل أو تخلف وتتطلق وتسيب العيل لأبوه .. لكن

الراجل ما عندوش غير اختيارين يا يبقى راجل يا ما يبقاش).

(٢٤) بخلاف صديق حاول أن يقطع لسان زوجته بالمقص وهي نائمة، لكن لسانها خرج والتف حول المقص، ثم (شفطه) إلى جوفها كل هذا وهي نائمة، سألته: لماذا فكر في قص لسان زوجته؟ فقال لي: (الرغي)، وأضاف: أن الشيء الذي جعل رغيها قاتلًا أن صوتها واطي زيادة، فالنتيجة إنك قاعد جنب واحدة رغاية أنت مش عارف هي بتقول إيه ... حاجة كده عاملة زي زنة اللمبة النيون).

(٢٥) بخلاف صديق آخر قال لي: إنه زاهد في الزواج، وعندما سألته عن السبب قال: إن الزواج لا يفضي إلى شيء، قلت له: مش فاهم، فسألني: مين أهم واحد في مصر؟ فقلت له: رئيس الجمهورية طبعًا. فقال لي: رئيس الجمهورية آخره بعد عمر طويل أنه يبقى طابع بريد في زمن ما بقاش فيه حد بيستخدم البوسطة .. أهو الجواز كده بالضبط، صديقي هذا سبق له أن مر بحريق ضخم شب في محل لبيع الشموع، فوقف أمام المحل وأخذ يغني: هابي بيرث داي تو يو، وهذه ليست نكتة، ولكن إذا كنت تبحث عن نكتة فبيقول لك: مرة واحد صعيدي بلدياتي قعد يدعي ربنا خمسة وعشرين سنة إنه يرزقه بحتة عيل، ولما حس باليأس راح لشيخ واشتكى له، فقال له الشيخ: (المشكلة إنك لازم تتجوز!!!).

برما بيغير «زيت»؟

اتصلت ببرما وقلت له: احكي لي اتصرفت إزاي آخر مرة جالك فيها اكتئاب؟

قال برما: الاكتئاب أن تصحو شاعرًا بالاختناق الذي يتعاظم بمقدار فشلك في معرفة أسبابه، في مثل هذه الحالة أنا شخصيًا أبحث في رأسي عن مشوار خفيف أنجز من خلاله مهمة تافهة في مكان يتفانى فيه الآخرون لإرضائي بكل الطرق الممكنة.. إنها (البنزينة) بلا شك.

بالصدفة ينتابني هذا الشعور كل ٣٥٠٠ كيلومتر حيث يتوجب عليَّ أن أغيِّر زيت الموتور وأغسل السيارة (بره وجوه) على حد تعبير البنزينجيّة، في الطريق إليها فكَّرت ماذا كنت سأكتب على مؤخرة سيارتي إذا واتتني الجرأة على فعل ذلك، كنت سأكتب: (عوض الصابرين) إنها حكمة حياتي، أو (اللي أمه بتدعيله أحسن من اللي أمه بتديله)، إنها حكمة حياة أمي، في الراديو كان هناك إعلان عن منتج أحتاج إليه بالفعل (مزيل للأوساخ)، من منا لا يحتاج إلى مستحضر يخلصنا منهم؟ في محطة أخرى كانت أم كلثوم تقول: (وإذا الأحباب كل في طريق) قلت لها: وليه الأحباب يا ست ليه مش (وإذا الأوساخ كل في طريق)؟

في البرنامج العام مسلسل إذاعي ساذج سمعت منه جملة واحدة: (يا ابن الرفضي) تذكرت صديقي الراحل الذي قال لي: إنها شتيمة كانت شائعة أيام الفاطميين، والمقصود بها: (يا ابن من رفض بيعة سيدنا علي)، رحل صديقي مبكرًا؛ لأنه كان يعرف أكثر مما يجب، توقفت في الإشارة بالضبط خلف عسكري المرور الذي أعطاني ظهره وهو يشير لي بالتوقف، وأشار لي أن تحرّك من الوضع نفسه دون أن أرى وجهه، ذكرني أمين الشرطة بالمايسترو قائد الأوركسترا الذي يقود العمل كله وظهره للجمهور طوال الوقت، الفرق أن الأخير عندما يستدير يصفّق له الجمهور، بينما إذا استدار الأول فقد يأخذنا مخالفة حزام.

على باب الكافيه الملحق بالبنزينة مكتوب (pull)، سأموت قبل ان أحفظ جيدًا الفرق بين (pull و push) الأمر الذي يسبب لي إحراجًا في أماكن كثيرة، أرى اللافتة وأحاول أن أركِّز أيهما (أسحب) وأيهما (أدفع)، والنتيجة أنني دومًا أدفع الباب بعنف (عندما يفترض أن أسحبه) بشكل يجعل القابعين بالداخل يهرعون لإنقاذ الباب من هذا الجاهل الذي لم يقرأ اللافتة، أو أن أسحب الباب بشدة (عندما يفترض أن أدفعه)، فأدخل على القابعين بالداخل بمقبض الباب في يدي، إنها الحيرة نفسها التي أقع فيها عند التمييز بين (أحمد عفت، وأحمد فؤاد حسن)، فكلاهما موسيقي

بشنب ونظارة، ويظهران في كل حفلات عبد الحليم.

أخالف أمر الطبيب، وأسرق فنجان قهوة مرة يوميًا حتى لا يصيبني قطع العادة بتخشب لا إرادي يشبه تخشب المتزوجات حديثًا، رائحة القهوة عدلت مزاجي قليلًا، بصراحة أنا شخص مزاجي متقلِّب بالضبط مثل كوبري أكتوبر، يلتمس المقربون لي أعذارًا لا أستطيع أن ألتمسها لنفسي فتتعمق محبتهم في القلب، كان عامل النظافة نائمًا فوق أرضية السيارة وفي يده المكنسة الكهربائية، ألقى بعيدًا تذكرتي سينما، فكرت لماذا لا يُطبق قانون حماية المستهلك على السينما، أليس من حقي إذا شاهدت فيلمًا ووجدته بضاعة فاسدة أو أن بطله منتهي الصلاحية.. أليس من حقي أن أقدم التذكرة وأستعيد نقودي، فرحت بنفسي، وقلت: يالني من عبقري لا أقل نباهة عن مكتشف ورق العنب الذي قال لنفسه ما الشيء الذي يصلح لحشو هذه الأوراق الرقيقة؟ ثم وجد الفكرة فهتف بصوت عالٍ (رز.. رز).

انتهى العمل في السيارة، وخرجت من البنزينة بعد أن علقت في مرآتها شجرة أرز برائحة الفانيليا، إنه حنين للطفولة ولمخبوزات الجدة، فتشت في الراديو عن أغنية تلائم المزاج الجديد فوجدت واحدة أحبها لعمرو دياب، كان الشارع رائقًا، وفجأة تذكرت أنني لم أدفع ثمن القهوة.

قلت لبرما: الاكتئاب أنساك أن تدفع ثمن القهوة.

فقال لي: بالعكس كان الاكتئاب في طريقه للاختفاء.. ولم يؤنبني ضميري بخصوص القهوة، ولم أتعجل العودة، فأنا أعرف جيدًا أنني سأعود إلى المكان نفسه بعد ٣٥٠٠ كيلومترًا.

برما على شط البحر

عندما كان برما يقف على شاطئ البحر سألوه عن الأمواج، فقال (الجايات أكتر من الرايحات).

وسألوه: هل تتفاءل بالمستقبل؟ فقال: (لو هتمطر كانت غيّمت).

وسألوه: إذا كان عندك توك توك، ماذا ستكتب على مؤخرته؟ فقال: سأكتب (بيقولوا الصبر طيب). ثم صمت قليلًا وقال: إذا سحبوا مني التوك توك مثلما سحبوا مني كل شيء سأكتب على مؤخرتي نفسها (دلوقتي وقتها).

سألوه عن الزحام الذي يسيطر على البلد، فقال: (البلد فاضية قدام).

سألوه عن ضميره، فقال: ضميري مستريح؛ لأن الحمد لله ذاكرتي رديئة.

ثم جاء الدور عليَّ، فسألني برما عن موقف لا أنساه، فقلت له: لن أنسى ما حييت يوم أن زار سيادة محافظ سوهاج لجنة امتحان الفيزياء ليتأكد أن الامتحان في مستوى الطالب المتوسط، قلت للمحافظ يومها: إن الامتحان جاء من الجزأ الملغى من المنهج، فربت على كتفي وابتسم قائلًا: القانون لا يحمي المغفلين؛ لذلك عندما سألني والدي عن سر رسوبي في المادة؟ قلت له بضمير مستريح: لا تعليق على أحكام القضاء.

قال لي: يبدو أني عانيت كثيرًا في التعليم، فقلت: عمومًا أنا أحمد الله كثيرًا على ما أنا فيه، يكفي أنني خرجت من فترة المراهقة دون أية عاهات فكرية، ففي هذه الفترة لم يكن الكمبيوتر يعمل إلا في وجود كاسيت، وكانت متوسيكلات الفترة كهربائية وتعمل بالبدال، وكان نجم الشباب وقتها وائل نور، وكان فتى أحلام البنات أحمد عبد العزيز الذي نجح مسلسليه الوسية، ثم المال والبنون فأصبح بطلًا، وأطلقوا اسمه على أهم شارع في المهندسين (البطل أحمد عبد العزيز)، وكانت فتاة الأحلام جيهان نصر، ثم شيرين سيف النصر، ثم نضجنا فانتبهنا بقوة لفريدة سيف النصر، وكانت النجومية مرتبطة بنظافة الترننج الذي ترتديه على المسرح، وكانت الأناقة تقاس بعدد (الكُسر) الموجودة في البنطلون وبلون الساتان الموجود في تنية كم الجاكيت، وكان الكليب الأكثر شهرة وقتها: (شك شك مرزوقة تعالي جنبي)، كنت أشجع نادي الزمالك، لكنني لم أكن أمتلك أي عضوية إلا في نادي السينما، وكانت البلد كلها محتلة، ولكن كانت بورسعيد هي المدينة الحرة الوحيدة إلى أن نجح النظام في احتلالها مؤخرًا، كان وقتها الدين ما بيدخلش في المجموع إلى أن كسر الإخوان المسلمون هذه القاعدة ونجحوا بدرجات الدين فقط، وكانت هدية النجاح دائمًا ساعة ضد الماء، ومع ذلك كانوا ينبهون علينا ما ننزلش الميه بالساعة، وكنا نقضي أوقات الفراغ في تجميع ١٠ أحمر و١٠ ألوان لإرسالهم

لشركة الشمعدان طمعًا في جهاز أتاري، وبالرغم من أن القنوات التليفزيونية المتاحة كانت ٣ محطات فقط، فإننا خسينا النص بسبب المشاوير الكثيرة التي قطعناها من الكنبة للجهاز لتغيير القناة، كان ظهور الشيش طاووق انقلابًا وقتها حيث كان طعامنا المفضل الأستيكة أم ريحه والتيكيت الذي كنا نبلله بألسنتنا لنلصقه على الكراسات، وكان الصمغ الموجود به من القوة أن ألتصق بأفواه معظم أبناء جيل، والنتيجة أنه معظمنا مش قادر يفتح بقه لحد النهارده، كانت معظم الأبواب مغلقة في وجوهنا؛ لذلك خصصوا لنا يومًا لجبر خاطرنا، وسموه (اليوم المفتوح)، ووقتها قالوا لنا: إن ألوان علمنا .. الأسود يعبر عن الماضي البائد والأبيض، يعبر عن المستقبل والأحمر يعبر عن الدماء التي بذلت فداءً للوطن، إلى أن كبرنا فعرفنا أن الأسود يعبر عن الأيام اللي عايشنها، بينما الأبيض يعبر عن مستوى العقول التي تسيطر على البلد، بينما الأحمر يعبر عن أن الأهلي فوق الجميع، أما النسر الذي قالوا لنا: إنه لا يعيش إلا في مصر ولم يره أحد منا فقد اكتشفنا أنه يعيش في درج مكتب رئيس المصلحة فقط.

أثناء كلامي مع برما كان يبدو عليه الاكتئاب فسألته: مالك؟ فقال : بعد سنوات من البرامج والفضائيات لازال بيننا ناس عندما يتصلون بالبرامج على الهواء يرفعون صوت التليفزيون ليسمعوا

أنفسهم وهم يتكلمون، لا زال بيننا ناس يكاد المذيع يقبّل أياديهم (ممكن توطي التليفزيون وتسمعني من التليفون؟)، كام مرة تصادف هذا الموقف وأنت تتجول بين الفضائيات؟ ماذا تتوقع من شعب يمتلك جهاز تليفزيون وريكودر وتليفون ورقت فاضي للاتصال بالبرامج، ولم يتعلم درسًا تافهًا مثل هذا؟ وكيف يمكنك أن تثق بوجهة نظره التي اتصل ليقدمها وهو أساسًا مش عايش معانا؟

قال برما: نعيش في أجواء غرائبية يمكنك أن تلاحظها مثلًا في صالة الجيم التي تم افتتاحها قريبًا من منزلي، وقد كتب على بابها: (المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف)، أو في صديقي الذي قال لي: إن العوازل الطبية ليست دائمًا آمنة، فابن خالته كان يستخدمها لكنه مات في حادث سيارة، أو في صديقي الذي أرسل تلغرافًا لزميله في العمل يعزيه في وفاة والده قائلا: (ما حصلش حاجة!).

عمومًا لقد اعتدت هذه الأجواء بمرور الوقت، وأصبحت أتعلم شيئًا جديدًا كل يوم، فقد تعلمت ..

(١) أن المشاعر الجنسية قد تقود الرجل إلى تصرفات حمقاء ومجنونة؛ لأنه في لحظة الشهوة ينسحب الدم الذي يفترض أن يغذي المخ ليصب كله في عضو آخر.

(٢) تعلمت أيضًا أن الكثيرين مشغولون بالحياة التي تلي الموت للدرجة التي تجعلهم ينسوا الحياة التي تسبق الموت.

(٣) وتعلمت أن مسابقات الـ٠٩٠٠ تخاطب أذهانًا بعينها، ولا تخطئها أبدًا فلم يحدث يومًا أن وجدت عالم فيزياء قد فاز بهذه الجائزة.

(٤) تعلمت أيضًا أن مشي الأطفال في الظلام قد يؤدي إلى ارتطامات، وأن الارتطامات في الظلام تؤدي إلى أطفال.

(٥) تعلمت أن الصيغة خاطئة عندما تسأل شخصًا ما: (عرفت كام واحدة جميلة في حياتك؟)، والصيغة الأصح هي (عرفت الحياة الجميلة في كام واحدة؟).

(٦) تعلمت أنه (اضحك تضحك لك الدنيا)، لكن شخّر وستضطر أن تنام بمفردك.

ثم التفت برما ناحيتي وسألني لو أنني أعيش في فيلم ماذا سيكون اسمه؟ فكرت كثيرًا ووجدت اسمًا جاهزًا: (عمر طاهر في مستشفى المجانين)، حياتي عمومًا سلسلة من الأفلام..

تبدأ بفترة الخوف من العقاب المنزلي طفلًا، ويمكن تسميتها (عمر طاهر يقابل ريا وسكينة)، عندك فترة المراهقة التي طلعت

فيها عين أهلي، ويمكن تسميتها: (عمر طاهر للبيع)، ثم فترة القدوم إلى القاهرة والاستقرار فيها ويمكن تسميتها: (عمر طاهر في جنينة الحيوانات)، ثم فترة الوحدة والعزوبية، ويمكن تسميتها: (عمر طاهر في متحف الشمع)، ثم فترة النجاح وتحسين ظروف المعيشة، ويمكن تسميتها (الفانوس السحري)، ثم فترة الزواج ولابد من تسميتها (عفريتة عمر طاهر).

ضحك برما، ثم قال لي: بص أنا عايز أعلمك حاجة.. صلِّ على النبي، فصليت (اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم). فقال:

(١) خرجت المرأة في أول ظهور لها من تحت باط الرجل لذلك تقضي عمرها وهي تحاول أن تجيب أي رجل تحت باطها.

(٢) وقال لي: إن الزوج يجب أن يعرف أنه معرَّض للعقاب في أي وقت إذا لم يكن على (حاجة عملها) سيكون على (حاجة ما عملهاش).

(٣) وأوصاني ألا أتردد في فعل ثلاثة أشياء كلما أتيحت لي الفرصة؛ لذلك قبل أن يأتي زمن لا أقوى فيه على أي منهم وهم.. المشي، والأكل، والقفز بالزانة.

(٤) وقال لي: لا تصدق أن في السفر سبع فوائد.. مبدئيًا هم خمسة، وجاء ذكرهم على لسان الإمام الشافعي:

تفريج هم واكتساب معيشة

وعلم وآداب وصحبة ماجد

قلت له: (واللهِ أنت عمي)، وقال لي: (عمى الدبب). وعندما شعر أنني انزعجت من تعليقه أعطاني رقم تليفون منزله، ثم قال: (على فكرة عمى الدبب عمى ألوان بس.. لكنه خطر حيث تفشل في التمييز بين الجليد وصغار الدببه، والنتيجة أنهم يدهسونهم طول الوقت لحد ما قربوا ينقرضوا)، قلت له: ربنا يديك طولة العمر. فقال لي: (كلنا هنموت ما عدا واحـد). فكرت لثوانٍ، وهززت رأسي بالموافقة، فقال لي: (أنا قصدي ربنا يا حيوان)، قلت له: وبماذا ستوصي عند وفاتك يا برما؟ فقال لي:

لا تقل رأيك في طعام حتى تهضمه، ويتخلص جسمك منه نهائيًا، ولا تقل رأيك في صديق حتى تطلب منه أن يقرضك، ولا تقل رأيك في امرأة حتى تتأكد أنها ماتت خالص.

(٥) إذا لم تستطع أن تكون قدوة فكن عبرة على الأقل.

(٦) وكن رومانسيًا، والرومانسية الحقيقة هي أن تحب نفسك.

(٧) وواجه نفسك بالحقيقة، ولا تكن مثل معظم مطربي هذه الأيام الذين يعرفون أن صوتهم قبيح للغاية، لكنهم ولأنهم نجحوا يجدون صعوبة في الإقلاع عن الغناء.

(٨) وتيك كير ولا تثق في أحد .. فقد غنَّى هيثم شاكر لمصر (ارمي حمولك عليَّ)، راحت مصر مشيّلاه سنة سجن.

(٩) ولا تفرح بعروض البنوك.. فالبنك هو مكان يقرضك مظلة عندما يكون الطقس معتدلًا، ويطلب منك استعادتها عندما تمطر.

(١٠) ولا تثق أبدًا في شخص يبدأ كلامه معي بجملة: (أصلي عيبي إني صريح).. كيف يمكنك أن تصدق شخصًا يرى الصراحة عيبًا أصلًا؟

(١١) وانتبه للفرص وخد بالك.. تبدو الفرص أوضح وهي في طريقها للضياع.

(١٢) ويقول ابن القيم: «لما طلب آدم الخلود في الجنة عن طريق الشجرة عُوقب بالخروج منها، ولما طلب يوسف الخروج من السجن عن طريق صاحب الرؤيا لبث فيه بضع سنين»، فليكن

سؤالك عن طريق الله.

(١٣) وعمومًا يا عمر ضع في يقينك أنه ليس هناك مكان ينام فيه الشخص بأمان مثل غرفة أبيه.

كان كلام برما مؤثِّرًا فانهمرت دموعي.

بعدها اختفى برما لفترة وتذكرت أنه أعطاني رقم تليفون بيته، فاتصلت وسألت عنه، فقال لي الشخص الذي رد: لا واللهِ النمرة غلط، فقلت له: ولما النمرة غلط بتردوا ليه؟

برما وحدوتة قبل النوم

يحكى أنهما كبرا سويًا، وكانا صديقين كما ينبغي، أصبح الأول ملكًا والثاني مجرد صديق ومستشار للملك، كان الملك يكره في صديقه كلمة يرددها بمناسبة وبدون مناسبة (بالعكس)، كان يبدأ بها ردوده على الملك دائمًا، وما كان يثير غيظ الملك أن الصديق كان يمتلك دومًا وجهة نظر بالعكس لكنها صحيحة.

تحمَّله الملك كثيرًا، وكان ينتظر بفارغ الصبر يومًا يقول له فيه صديقه: بالعكس، ويفشل في إثبات وجهة نظره، حاول كثيرًا أن يوقعه في هذا الفخ لكن دون جدوى.

كان الملك وصديقه يزوران الغابة سويًا كل أسبوع لممارسة الصيد، وكان الصديق مكلفًا دومًا بإعداد البنادق التي سيستخدمونها في هذه المهمة، في إحدى المرات أخطأ الصديق في إعادة تركيب البندقية بعد فك أجزائها وتنظيفها، ثم أعطى الملك البندقية وذهبا إلى الغابة.

لمح الصديق من بعيد غزالة تجري، فلفت نظر الملك إليها، اتخذ الملك وضع التصويب، وأحكم النشان، ثم أطلق رصاصته، فكان أن انفجرت الرصاصة في يد الملك، ولم يكن هناك مفرّ من بتر أصبع الملك.

بعد أن تعافى الملك جلس في فراشه حزينًا، دخل عليه صديقه، فقال له الملك: (إنه أمر سيء للغاية أن يفقد الإنسان أصبعًا كاملًا). فقال له الصديق: (بالعكس). نهض الملك من فراشه بعصبية وطالب الصديق أن يثبت هذه الـ(بالعكس)، فشل الصديق، وسيطر عليه الصمت، فرح الملك، وقال له: لقد كنت أنتظر هذا اليوم منذ طفولتنا .. والآن حكمت عليك بالسجن لمدة سنة كاملة.

ذهب الصديق إلى السجن، وشعر الملك براحة كبيرة تغمره، وفي يوم اشتاق للصيد، فأخذ بندقيته وذهب إلى الغابة بمفرده، وهناك ضل طريقه، وفجأة وجد نفسه محاصرًا بأفراد من قبيلة لآكلي لحوم البشر كانت تعيش على أطراف الغابة.

فرح الصيادون بغنيمتهم وسحبوها إلى مطبخ القبيلة، وأشعلوا النار فوق قدر كبير به ماء، وقاموا بتجهيز السفرة استعدادًا لتناول وجبتهم الشهية، كان الملك يرتعد خوفًا، وقال لنفسه: إنه ذنب صديقه الملقى خلف الأسوار، اقترب منه زعيم القبيلة ببطء ليحظى بشرف افتتاح البوفيه بأن يتناول كف الفريسة نيئًا حسب عاداتهم، وعندما أمسك بيد الملك أصابه حزن عظيم فقد وجده ناقصًا، وهنا سيطرت همهمات حزينة على كل أفراد القبيلة، لقد تبخر حلمهم؛ لأن عاداتهم تقضي ألا يتناولوا إلا الفريسة الكاملة، وإذا ما تناولوا فريسة مبتورة الساق أو الأذن أو ينقصها أي شيء **ستصب الآلهة**

عليهم لعنة كومبو تجعلهم يبدءون في التهام بعضهم البعض.

أطلقوا سراح الملك الذي عاد إلى قصره سعيدًا، لكنه كان يشعر أن ظلمًا ما قد وقع على صديقه، فقد أنقذه الأصبع المبتور من الموت، واتضح أن بتر أصبع ليس أمرًا سيئًا.. بالعكس.

ذهب بنفسه إلى صديقه ليطلق سراحه، وقص عليه ما حدث واعتذر له قائلًا: (إنه أمر سيء أن تقضي كل هذا الوقت في السجن).. ابتسم الصديق قائلًا: (بالعكس)، ظهر الغضب من جديد على وجه الملك، فقال له الصديق: (لو لم أكن في السجن وقتها كانوا تركوك وأكلوني أنا!!).

برما ناقد فني

بدأ منحنى نجومية «سيمون» في الهبوط بعد أن خانت عمرو دياب في آيس كريم في جليم مع عزت أبو عوف، لم تضع «سيمون» في حساباتها شعبية عمرو الواسعة، ولم تتعلم من سعاد حسني عندما رفضت أن تخون عبد الحليم في البنات والصيف، آثرت سعاد أن تلعب دور شقيقته بدلًا من دور حبيبته الخائنة، وهو الدور الذي لعبته زيزي البدراوي في أول ظهور لها ليظل موقف الناس منها مرتبكًا حتى اليوم.

عمرو دياب الذي نجح البلوفر الذي ارتداه في تملِّي معاك أكثر من (تملِّي معاك) نفسها، تعلم من سيمون الدرس فأقلع عن العمل في السينما نهائيًا.

أما أحمد آدم الذي أكمل تعليمه في مدرسة محمد صبحي الفنية، فقد حصل على تقدير ممتاز في مادة واحدة فقط من المواد التي يدرسها صبحي.. مادة: «كيف تتفادى بمهارة النجاح في السينما»، بينما تعلم كريم عبد العزيز الذي كان ظهوره الأول مع الزعيم في (المشبوه) أن الزعيم صنع رصيده الحقيقي من الأعمال الجادة (المشبوه، والحرِّيف، ودموع في عيون وقحة)، فابتعد عن محرقة الكوميديا نسبيًا، بينما لم يتعلم الزعيم من كريم عبد العزيز ألا يتحدث للإعلام سوى عن أعماله دون أن يفتي في الدين أو السياسة .. مشكلتي مع (عادل إمام) تبدأ عندما يحاول أن يكون (إمام عادل).

تعلم اللمبي من إسماعيل يس الذي مات مفلسًا مديونًا أن الفن لا أمان له، وأن نجوم الكوميديا غالبًا ما يموتون ميتة مأساوية .. فغالى في أجره كثيرًا، ولم يتعلم أن إسماعيل يس مات مفلسًا؛ لأنه في الأساس كان قد أفلس فنيًا!

تعلم علي الحجار من صلاح جاهين أن يكون صادقًا فيما يغنيه، لكنه لم يتعلم منه كيف يختار ما يغنيه، تعلمت «أنغام» من عمها عماد عبد الحليم إحساسًا ما بالحزن يغلف ما تغنيه، لكنها لم تتعلم منه كيف أن حياته الشخصية أعاقته عن أن يحتل مكانته التي يستحقها، أخذ عماد من عبد الحليم حافظ اسمه، لكنه لم يأخذ عنه طموحه في الوقت الذي تعلم فيه هاني شاكر من حليم أن يكون باكيًا قدر المستطاع، لكنه لم يتعلم منه كيف يكون نحيفًا، كان عبد الحليم «يغني للأمراء» وهو درس آخر تعلمه هاني، فأطلق على نفسه لقب «أمير الغناء».

تعلم «عمر خيرت» من عمه الموسيقار «أبو بكر خيرت» أن البسطاء قادرون على تذوق الموسيقى الراقية، فأخلص عمر خيرت للرقي والبساطة، فنجحت مقطوعته الموسيقية (قضية عم أحمد) أكثر من (عم أحمد نفسه)، سقط الفيلم وعاشت الموسيقى وهو الدرس الذي لم تتعلمه سيمون.

بتلومونو ليه؟

اتصل بي (برما) بعد فترة غياب، سألته عن سر غيابه، فقال لي: إنه موجود مع مجموعة من الفدائيين للكفاح ضد الاحتلال الخليجي في توشكى، وعرض على أن أنضم لهم فاعتذرت قائلًا أني متجوز جديد وما أقدرش أسيب البيت اليومين دول، فقال لي باقتضاب: «للبيت رب يحميه».

قال لي: لقد أخطأ البعض إذ ربط بين «حسبة برما»، وبين شخصي، والحقيقة أن «برما» المذكورة في الحسبة قرية تابعة لطنطا متخصصة في إنتاج وتجارة البيض، ويحكى أن قروية كانت تحمل سلة من البيض في طريقها لبيعها، ولكن لسوء حظها تسبب أحد الفلاحين في سقوط السلة بدون قصد وكسر كل محتواها من البيض.

وطلب الفلاح من السيدة إخباره بعدد البيض الذي كان في السلة حتي يعطيها ثمنه، وهنا أخبرته السيدة بأنها لا تعرف العدد بالضبط، ولكنها عندما كانت تعد البيض اللي في السلة اثنين اثنين يتبقى بيضة واحدة.. وعندما تعده ثلاثة ثلاثة تتبقى بيضة واحدة، وعندما تعده أربعة أربعة، أو خمسة خمسة، أو ستة ستة يبقى في كل مرة بيضة واحدة، ولكن عندما كانت تعده سبعة سبعة لا يتبقى أي بيض.. ثم سألني: هل تعرف كم بيضة كانت مع المرأة؟ فاعتذرت له لأني ما بأحبش البيض، فطلب مني أن أفكر على أن يقول لي الحل قبل نهاية المكالمة.

سألني برما (ما هو أكثر شيء يستفزك؟) فقلت له: (عندما أقول لشخص معلومة أنا متأكد منها فيضحك قائلًا: هاهاها .. كل الناس فاكرة زيك كده بالضبط).

وسألني عن أكثر عمل جريء قمت به، فقلت له: مرة كنت في مطعم وكنت جائعًا جدًا، تأخر الطعام فقطعت حتة من الرغيف وكورتها في يدي، وقلت للجالس على المنضدة إلى جواري: (ممكن الطحينة بتاعتك دقيقة؟).

وسألني عن أسخف جملة قلتها في حياتي، فقلت له: قالت لي زوجتي: «نفسي أموت في حضنك»، فقلت لها: «مش عايزين مشاكل».

وسألني عن أغرب حادثة سمعت عنها، فقلت له: قرأت يومًا مانشيت يقول: (قال له يا ابن العبيطة فمزق جسده بالمطواة)، سألني عن سر دهشتي، فقلت له: إن المجني عليه كان يعرف من الأول أن الجاني ابن عبيطة .. يعني ماكنش فيه أي داعي للاحتكاك!

انقطع الخط قبل ان أعرف عدد البيض فأرسلت لوالدي اشحنلي شكرًا، فرد عليَّ برسالة قصيرة: عفوًا لقد نفذ رصيدكم، كان لدي كارت منزلي، فقررت أن أتصل بـ(برما) من عند الجيران، لكنني

فوجئت أن جاري هو الشخص الذي استعرت منه الطحينة في الفقرة السابقة.. شعرت بالإحراج.. فقلت له: «هل تعلم أن الإنسان من الثدييات لكنه أحيانًا يبيض؟» فابتسم في وجهي قائلًا: «الكورة لو جت هنا تاني هأقطعها بسكينة المطبخ».

اتصل برما مجددًا وقال لي: التليفونات شكلها متراقبة، فقلت له: «في السجن يشعر السجان بالخوف أكثر من السجين» . .

قال لي (صحيح).. ثم سألني: فاكر أيام المدرسة؟

هنا أظلمت الدنيا وحدث فلاش باك، ووجدت نفسي فجأة في حصة اللغة العربية في تانيه أول...

(نهار داخلي...

المدرس: قال أيه بقى الشاعر في الموقف ده

قال لك...

وحنزو يومًا راكضة في مراعي البوع الحزين

كأنني كوسبون في يوم التضوى والأعداءُ محرجين

(المدرس يردد بينه وبين نفسه باندهاش، والأعداء محرجين؟)

عمر: يعني أيه كوسبون يا مستر؟

المدرس: كوسبون اللي هو الكُسب .. وده نوع من الأكل زي العلف كده بيقدموه للبهايم.

عمر: وهو كان فيه بهايم على أيام الشاعر؟

المدرس: وأنت فاكر مافيش بهايم غير اليومين دول ولا أيه؟

عمر: وهو الشاعر قصده أيه بالبوع الحزين؟

طلعت: البوع ده نوعين.. فيه بوع حزين وبوع مكبّر ما بيشيلش هم.

عمر: ماشي بس هو ايه البوع ده أصلًا.

المدرس: مكتوب في شرح المفردات البوع هو الدالوت وهو حيوان من فصيلة الترامّه.

المهم عايزكم تحفظوا القصيدة دي وهاسمعها لكم الحصة اللي جايه.

عمر: طيب مش لما نفهمها الأول وبعدين نحفظها.

المدرس: أنت عايز تنجح آخر السنه ولا عايز تتلامض؟

عمر: لأ، عايز أنجح طبعًا.

طلعت: يبقى تحفظ وأنت ساكت ... وبعدين ماحدش فاهم الشاعر كان قصده أيه.. أومال أنت فاكر الأعداء كانوا محرجين ليه؟

قطع.. تترات

كان القطع حادًا فانقطع الاتصال بـ(برما) مجددًا، قررت أن أفتح التليفزيون فوجدت المذيعة تنصح الزوجة أن تهتم بنفسها؛ لأن «الزوج مثل الطفل إذا لم يجد عندك ما يريده بحث عنه في مكان آخر»، حاولت أن أتصل بالمذيعة لكنني تذكرت أني بلا رصيد، فأرسلت لها على ميل البرنامج قائلًا: «مش كل واحد عنده مشاكل مادية بيسرق.. بس الحرامي بيسرق حتى لو ما كنش عنده مشاكل مادية»، قرأت المذيعة رسالتي بإعجاب شديد، فأرسلت لها واحدة أخرى تقول: (خلى برما يتصل بيا ضروري)، بالفعل اتصل بي برما بعدها مجددًا، وقال لي: (إحنا محتاجين ذخيرة). قلت له: البلد فيها أزمة حشيش اليومين دول، فطلب مني أن أرتب موعدًا مع إخواننا الفدائيين في أفغانستان للحصول على إمدادات، أزعجني طلب برما فصرخت فيه: أنت فاكرني إيه؟ فقال لي: أنت راجل متجوز وفاهم.. طلبت منه أن يوضح كلامه، فقال: «الجواز هو البدلة اللى بتفصلها وتلبسها من غير ما تعمل لها بروفة»، و «أكبر غلطة في الجواز أنك ما تعترفش إنه غلطة»، و«الفرق بين كراهية العازب للجواز وكراهية المتجوز ليه زي الفرق بين الهواة

والمحترفين»، و «الست ما بتنساش يوم الجواز، لكن الراجل بينساه؛ لأن الصياد بيفضل فاكر اليوم اللي اصطاد فيه سمكة كبيرة، لكن السمكة ما بتفتكرش حاجة خالص».

قلت له: شكلك ضد الجواز. فقال لي: «بالعكس.. الراجل لما يتجوز بيبقى كمل نص دينه، والبنت لما تتجوز بتبقى لقت عدلها، يعنى الست ماشيه مقلوبه لحد ما تلاقى اللي يعدلها، والراجل ماشي نص كافر لحد ما يلاقي الست اللي تخليه يآمن أن الله حق».

قلت لـ(برما): بلاش كلام في السياسة أرجوك، فقال لي: كنت فاكرك شجاعًا، ففتحت لك قلبي، ثم تحشرج صوته وهو يقول: (أَسأتُ إذ أحسنتُ ظنّي بكم: والحزمُ سوء الظن بالناس). ثم قال لي: واللهِ ما أنا قايلك كان فيه كام بيضة مع الست.

قلت له: طيب فزورة بفزورة (من هو الرجل الذي لا أب له والرجل الذي لا أم له، وما هو القبر الذي تحرك بصاحبه وما هو المكان الذي طلعت عليه الشمس مرة واحدة في عمره)؟ سكت برما قليلًا وقال: أجب أنت أولًا، فقلت له: الرجل الذي بلا أب هو سيدنا المسيح، والرجل الذي بلا أم هو سيدنا آدم، والقبر الذي تحرك بصاحبه هو حوت سيدنا يونس، والمكان الذي طلعت عليه الشمس مرة واحدة بطن البحر حين انفلق لبني إسرائيل، وما أن

سمع برما كلمة إسرائيل حتى ابتلع لسانه لكن الدكتور أحمد ماجد أنقذه في آخر لحظة.

مالك يا برما؟ قال لي: حاسس إني هأموت قريب. فقلت له: أوصني.. فقال ..

(١) العالم يعرف الجاهل، والجاهل لا يعرف العالم.

(٢) والمشكلة الرئيسية في العلاقة بين الرجل والمراة أن كل شخص يبحث عن نصفه الثاني قبل أن يبحث عن نصفه الأولاني.

(٣) والفرق بيننا وبين إيران هو الفرق بين التفتيش على النووي في معامل التخصيب والتفتيش على إبراهيم حسن في أتوبيس الزمالك.

(٤) وخد بالك من يضحك أخيرًا هو أغبى شخص في الجلسة.

(٥) ولازم تعرف أن مشكلة الزواج ليست في العثور على الشخص المناسب، ولكن في أن تكون الشخص المناسب.

(٦) أما يا معلم الشخص المهم في حياتك فهو ليس الشخص الذي تشعر بوجوده، ولكنه الشخص الذي تشعر بغيابه.

(٧) والمفاجأة أن للذكاء حدود.. الغباء لأ.

(٨) ولا يوجد داعٍ للقلق أو للتشاؤم، فالكوارث الحقيقية تأتي عادة بلا مقدمات.

(٨) والسعادة يا برنس مش إنك تقابل حاجة تفرحك.. السعادة إنك تلاقي الفرحة في أي حاجة تقابلك.

(٩) ونصيحة من أخ .. أقلِع عن التفكير في أخطاء الماضي.. وحاول أن تتحاشى أخطاء المستقبل.

(١٠) وصدقني عندما تجد كل الأشياء تقف في صفك اعرف فورًا أنك تقف في المكان الخطأ... وأخذ يردِّدها حتى انقطع الخط.

ظللت طوال الليل في انتظار أن يتصل برما مجددًا، لكنه لم يفعلها، وصحوت اليوم فوجدت رسالة قصيرة منه مكتوب فيها: (٣٠١).

برما في قهوة عم أحمد

حكى برما قائلًا.....

المقهى أصلًا متر في متر، لكن بحكم موقعه الاستراتيجي في وسط البلد يديره عم أحمد كأنه مملكته الخاصة.

أخرج الموبايل عدة مرات من جيبه ينظر إلى شاشته، ثم يعيده إلى جيب جلبابه، عم أحمد إذن يريد أن يسمعها مني: (مبروك يا عم أحمد على الموبايل). رد بعنف: (مبروك على إيه؟).

وقفت المجذوبة أمام باب المقهى وابتسمت لنا ابتسامة مخيفة، ثم انتقلت إلى الرصيف المقابل، وأخرجت من البؤجة بطانية افترشت نصفها وتدثرت بالنصف الثاني، وقالت بصوت متعالٍ: (هاتلي شاي)، أخرج زبون نحيف جنيهًا ووضعه على الصينية الموجودة أمامه، وقال لعم أحمد: (خد.. هاتلها شاي على حسابي)، نظر عم أحمد إلى الجنيه ثم تجاهل الجميع.

دخل علينا رجل له هيبة لواءات المعاش، ومعه زوجته الأرستقراطية، تغيرت ملامح عم أحمد، ألقى الرجل السلام ودخلت زوجته في الموضوع مباشرة (إحنا آسفين يا عم أحمد ع اللي حصل، واللهِ البيه ما نامش من إمبارح بسبب الموضوع ده).. اكتست ملامح عم أحمد بالخجل، وقال: (وما ينامش ليه

بس؟ ما حصلش حاجة) .. أخرجت الزوجة ورقة بخمسين جنيهًا من حقيبتها وقدمتها لعم أحمد: (طيب علشان خاطري خد دول ده تعويض بسيط عن اللي حصل). قابلها عم أحمد بالصمت، قالت الزوجة: (والنبي وحياة أولادي ما تكسفنيش) .. مد عم أحمد يده وأخذها: (عشان بس حلفتيني أنا هآخدها، بس هأحطها في أقرب جامع .. أنا ما بأقبلش العوض)، انكسرت نظرة الرجل ذو الهيبة، وألقى السلام منصرفًا بعد أن ألقى نظرة أخيرة في وجه عم أحمد (يعني مسامح؟) قال له عم أحمد: (جيتكم لحد هنا تنسي الواحد كل اللي ضايقوه)، ابتسمت الزوجة وسحبت زوجها وانصرفا.

رن موبايل عم أحمد فأخرجه قائلًا: (مش ممكن الصداع ده)، ثم رد: (أيوه حضرتك أنا في القهوة وفي انتظارك .. تشرفي يا بنتي)، لمح عم أحمد الفضول يطل من وجهي، (أصل الموبايل ده أنا لقيته في سيدنا الحسين إمبارح والست صاحبته كل شوية تتصل تتطمن إنه لسه معايا .. بتقول: إنها كانت بتزور «أبوها» العيان لسيدنا الحسين).

سألت عم أحمد عن الرجل الوقور وزوجته، فقال لي: (واحد من الورشة اللي جنبنا خد شاي، رجع الصينية والكوبايات، وبدل ما يدخلهم جوه سابهم على عربية راكنة قدام القهوة، قبل ما آخدها لقيت الراجل ده بيفتح باب العربية وبيرمي الصينية والكوبايات

في الأرض وكسرهم ميت حتة، الناس الموجودون زي حضرتك هاجوا عليه ولسه هيكلموه، قلت لهم: ما حصلش حاجة، العيب على الحيوان اللي ساب الصينية على العربية، وما احترمش صاحبها، الراجل اتكسف وقال لي: الكوبايات دي تمنها كام؟ قلت له: لما زبون عندنا بيكسر كوباية ما بنأخدش منه تمنها.. عيب..)، لاقت الحكاية استحسان الحاضرين، فعطف علينا عم أحمد بالدرس المستفاد منها: (مش هو راجل أقوى مني وممكن يأكلني؟ بس أهو جالي لحد عندي عشان ما حدش كبير على الأدب).

قطع كلام عم أحمد وصول صاحبة الموبايل التي عرضت على عم أحمد ورقة بعشرة جنيهات، وأصرت أن يأخذها: (يا ستي، أنا لو عايز فلوس ما كنتش رجعت لك الموبايل أصلًا).

انصرفت السيدة ولمحنا في سيارتها رجلًا مسنًا، وبينما السيارة تبتعد أطل المقعد المتحرك من حقيبتها، اختفت السيارة فأصبحت المجذوبة في مواجهتنا، أطلت من تحت البطانية، وصرخت: (فين الشاي؟)، نظر لها عم أحمد شذرًا وصرخ هو أيضًا: (حاضر)، أعد الشاي وقبل أن يخرج به من المقهى باتجاهها مد يده بخفة والتقط الجنيه الذي تركه الزبون النحيف على الصينية ووضعه في جيبه.

حب ما تأكل حتى تأكل ما تحب!

رن التليفون ردّيت فوجدت برما (بتتكلم من فين ؟) فقال: (من عند الدكتور أنس عبد الرحمن الذهبي استشاري طب الأطفال)، الدكتور أنس هو أول من عرفني على برما، لكنني لم أعرف أن برما يتردد عليه في العيادة، سألت برما: (حد من الولاد عندك جرى له حاجة؟). فأقسم لي أنه لم- ولن – ينجب، وأنـه على استعداد لتحليل الدي إن أيه لمن يشكك في هذه المعلومة، فقلت له: لعل المانع خير! فقال: في بداية الزواج حدثت قصة، فقررت ألا أنجب بعدها أبدًا، قلت له: (أحكيها لي). فقال لي: طيب ممكن أستئذنك، بس تقفل وتكلمني على تليفوني علشان الدكتور أنس عايز الموبايل بتاعه؟

اتصلت فحكى: (منذ تزوجت وأنا أرى حمايا المسن يجلس في البلكونة دائمًا إلى جوار قصاري الزرع وإلى جواره ترابيزة عليها الصحف وعلب الأدوية وراديو مثبت على إذاعة القرآن الكريم، لم أره يومًا ما يمارس أي نشاط آخر، بدا أنه أب أنهى رسالته وجوز البنات والأولاد وجلس يستمتع بشيخوخته، وفي يوم كانت العائلة كلها في الطريق إلى المصيف، وتوقفت السيارات لالتقاط الأنفاس في استراحة الماستر، وأثناء تناولي للقهوة مع شقيق زوجتي شهق وضرب صدره بانزعاج، سألته: فيه إيه؟ فقال لي: تصدق نسينا الحاج في البلكونة).

لم أصدق أن هذه القصة حدثت مع برما بالفعل، فقد سبق لي أن قرأتها على موقع للنكت على الإنترنت، لكنني سألته (ما قولتليش بتعمل أيه عند الدكتور؟)، قال برما: كنت أستشيره بخصوص الذهاب إلـى طبيب تخسيس، قلت لـه: وهـل تعاني من زيـادة تستوجب منك الذهاب إلى طبيب؟ فقال لي: لم أتخذ قرارًا بعد، فأنا لدي تحفظات على موضوع الريجيم، فالريجيم قائم على نظريات ثقيلة الدم ليس بها رائحة المشاعر الإنسانية ...

(١) فالريجيم أن تأكل ما تحب بشرط ألا تبتلع شيئًا منه.

(٢) وهناك نظرية أخرى تقول: إن الريجيم أن تأكل كما تحب من أصناف لا تحبها.

(٣) وهناك مقولة عن شخص جرب الريجيم لمدة ٢٨ يومًا، واكتشف بعدها أن كل ما فقده هو أربعة أسابيع من عمره.

(٤) وقالوا لي زمان: الأهم من الريجيم هو أن تتناول طعامًا متوازنًا، وقضيت فترة في ضبط موضوع التوازن هذا، فكنت أشتري ساندوتشين شاورما فراخ من مؤمن، وأضع كل واحد في يد ولا ألتهمهما إلا إذا تأكدت أن وزنهما في اليدين متوازنًا، بعدها لم أعد قادرًا على أن أدخل مؤمنًا من الباب ولأنهم ناس محترمين

كانوا يسمحون لي بالدخول من باب الطيارين (بتوع الدليفري).

أنا أصلًا كنت رفيع زمان – والكلام لبرما- وظللت طوال فترة المراهقة أسمع من أمي نصيحة واحدة (عشان خاطري ما تأكلش بسرعة)، كانت ترى أن نحافتي سببها أني لا أمضع الطعام جيدًا، وبعد الزواج كانت زوجتي توجه لي النصيحة نفسها تقريبًا، بس حذفت كلمة (بسرعة).

ضحكت، فقال برما: هناك مشكلة أخرى في هوس الريجيم..

(٥) فأنا أقضي ساعات أشاهد إعلانات قبل وبعد، واكتشفت أنني قابع في مرحلة قبل منذ سنوات، وبمرور الوقت اكتشفت أنني تجاوزت هذه المرحلة، ودخلت مرحلة (قبل الميلاد)، كنت أرى الإعلانات وأسأل نفسي إن كانت صادقة، كانت تقول: (مستحضرنا يجعلك تفقد أربعة كيلوجرامات في أسبوعين؟) الأمر الذي يعني أنني قد أختفي تمامًا بنهاية العام إذا واظبت على هذه المستحضرات، كانت الإعلانات تصرّ على موضوع الفقد هذا إلى أن اكتشفت بعد شراء المستحضرات أنني لم أفقد سوى نصف دخلي الشهري.

قلت لبرما بصراحة: الأكل متعة. فقال لي: تعرف ما هي مشكلة الطعام؟ «المشكلة أن ما يستقر فوق لسانك لثوانٍ يستقر فوق أردافك إلى الأبد»، وبصراحة لقد اكتشفت أن وزني ازداد عندما صرت أقف لفترات طويلة أمام المرآة أتأمل نفسي (بالجنب)، فكرت في أن أمنع دخول الطعام إلى المنزل نهائيًا، وطلبت من زوجتي أن (تروح تأكل عند أمها)، أصبح البيت خاليًا حتى من ذرة ملح إلى أن ضبطت فأرًا يدخل من البلكونة في يوم، ويحمل فوق رأسه قطعة جبن، هنا صعبت عليَّ مراتي فسمحت لها بالعودة، أشارت عليَّ زوجتي بعدها باتباع نظام ريجيم موجود في إحدى المجلات النسائية، المشكلة أن النظام كان منشورًا على صفحتين، وبعدهما ٢٥ صفحة بها أفضل الوصفات العالمية لعمل الكفتة المشوية، فانهارت التجربة مبكرًا، لكننا كسبنا شوّاية جديدة في البلكونة.

سألت برما إن كان يفكر في الريجيم من أجل الحفاظ على مظهره وجماله؟ فقال لي: يؤسفني أن أرد عليك بطريقة الدكتور مفيد شهاب.. فالجمال – من وجهة نظري- شأن داخلي، قلت له: (أمّال إيه المشكلة؟) فقال: المشكلة في الهدوم.. عندما أنزل لشراء ملابس جديدة لا أجد مقاسي إلا في محلات الستائر.

وهناك مشكلة أخرى لها علاقة بشعوري الدائم بالإجهاد.. لقد اكتشفت في الفترة الأخيرة أني بأنهج، وأنا طالع في الأسانسير، بعدها قررت أن أمارس الرياضة فاشتركت في الجيم، وبعد أول يوم من التدريبات اكتشفت أنني أفضل الموت سمينًا على الموت وأنا أجدف في الجيم فوق مركب متخيل.

بعدها قررت أن أتبع نظامًا صحيًا في الطعام فاكتشفت أن الطعام الصحي هو الطعام الذي يتم تقديمه في الجحيم، لا يسمن ولا يغني من جوع، إنه طعام أشبه بأن تقبل فتاة بشفاة صناعية بطعم الكولاجين، قلت لنفسي: (الصبر شوية)، ونصحتها فلنحب ما نأكل حتى نأكل ما نحب لكنها ردت عليَّ قائلة: (الكلام ده تقوله في العاشرة مساءً)، قررت بعدها ان أكون شخصًا نباتيًا، وظللت أسبوعًا لا أتناول سوى الخضروات، لم يحدث أي تغيير، ثم اكتشفت أنه إذا كانت الخضروات بتخسس لأصبحت الأفيال حفريات منذ زمن بعيد وهي الكائن الذي يعيش على الخس والجزر وورق الشجر، خلال هذه الفترة كنت ألتقي كل يوم بشخص نحيف، كنت أدقق النظر إلى الطريقة التي يأكل بها وهي طريقة تثير الشفقة، فهو يتوقف عند اللحظة (اللي الأكل بيبتدي يحلو فيها)؛ لأن معدته ضيقة، فعرفت أنه بداخل كل إنسان نحيف يوجد إنسان تخين.. مقهور.

تعاطفت مع برما بشدة على الرغم من أنني أعرف جيدًا أنه يبالغ فهو ليس سمينًا أصلًا، سألت برما (أنت حاسس أنك زايد كام كيلو؟)، فقال لي: بصراحة حاسس إن فيه زيادة على قلبي بتاعت ١٥٠ كيلو، قلت له: الـ١٥٠ كيلو الزائدة لا تحتاج إلى طبيب تخسيس، فأنا أعرفها جيدًا، سألني: ماذا تحتاج إذن؟ قلت له: هذه الزيادة تحتاج إلى مأذون.. طلِّقها يا برما.

برما في العاشرة مساءً

بمناسبة عيد ميلاده كان برما ضيفًا على برنامج (العاشرة مساءً)، ولأسباب تقنية مجهولة انقطع الإرسال عن المحطة في هذا اليوم، قلت لبرما: (هل تتهم أحدًا بعينه؟) فقال لي: تامر حسني طبعًا، سألته عن دوافع تامر، فقال: قبل الحلقة بيومين كنت في مداخلة هاتفية مع برنامج (صباح دريم)، وسألوني عما لفت نظري في صحافة الأسبوع الماضي، فقلت لهم: حوار مع تامر كرر فيه قصة أنه لم يرَ والده منذ الطفولة، وأن والده كان يستمع لألبوم تامر وشيرين دون أن يعرف أن تامر هذا ابنه، تامر يكرر القصة لنتعاطف معه، تامر يعتقد أن جزأ من شعبية عبد الحليم حافظ له علاقه بكونه نشأ يتيمًا، لكن قصة تامر مختلفة، فهناك فرق كبير بين اليتم والتفكك الأسري، وإن كنت أعتقد أن تامر يستحق لقب نجم الجيل؛ لأن معظم ظروف أبناء الجيل شبه ظروف تامر الأسرية.

قلت له: ربما يغضب هذا الكلام تامر، ولكن لا دليل على تورطه في قطع الإرسال، فقال لي: وهل كان هناك دليل على أن عمرو دياب هو الذي أبلغ السلطات أن تامر متهرب من التجنيد كما يروج محبوه؟ قلت له: وارد بشدة أن تكون هناك حساسية متبادلة بين النجمين بحكم المنافسة التي.. وهنا قاطعني برما بحدة قائلًا: منافسة إيه يا معلم، أنت هتتكلم زي الناس اللي مش فاهمة حاجة؟ أيه اللي جاب عماد متعب جنب الخطيب؟ ولا إيه اللي جاب أمير طعيمة

جنب أمير الشعراء؟ عمرك شفت ابن بينافس أبوه؟ قلت له: حصلت.. الروائي (ألكسندر ديماس) الأب كان بينافس ألكسندر ديماس الابن، الأولاني كتب (الفرسان الثلاثة)، والثاني كتب في العام نفسه (غادة الكاميليا)، وكانت هناك منافسة شرسة بين الروايتين جعلت ديماس الأب يقول: (كان لدي ابن وبمرور الأيام اكتشفت أنه أفعى). فرد عليه ديماس الابن قائلًا: (كان لدي أب واكتشفت بمرور الأيام أنه طفل).. نظر لي برما بحدة قائلًا: أهي لماضتك دي اللي هتخسرك الأربع خمس بني آدميين اللي بيقرولك!!

التزمت الصمت احترامًا لانفعال برما، وبعد قليل سألته: مش هتقول لي: طيب منى الشاذلي سألتك في إيه؟ فقال: مش فاكر بالضبط كل حاجة، لكن أذكر أنها سألتني عن النصيحة التي أوجهها للشباب، فقلت: (إذا دعتك الحاجة لتنظيف أذنيك بمفتاح السيارة فلا تستخدم مفتاح سيارة غيرك).

وسألتني عن أفضل صحيفة تعبر عن المواطن بصدق، فقلت: (صحيفة الحالة الجنائية بلاشك).

وسألتني عما قلته لزوجتي عندما التقينا لأول مرة، فقلت: (سألتها: هل تؤمنين بالحب من أول نظرة؟ ولا تحبي أقوم آخد لفة وارجع لك تاني؟).

وسألتني عن شخص ظلمته في حياتي، فقلت: (كان لدي عم حشَّاش ومتزوج منذ سنوات، زارنـي ليلة فرحي وانتحى بي جانبًا، ثم سحب كفي فجأة وأخذ يقبلها بهيستريا قائلًا :أبوس إيدك ما تتجوزش.. أبوس إيدك اسمع كلامي، وقتها قلت لنفسي: أكيد مسطول كالعادة، وبعد سنوات اكتشفت أنها كانت اللحظة الوحيدة تقريبًا في حياتي التي رأيت فيها عمي «فايق»).

سألتني عن تعليقي على بيان الحكومة الذي برر استمرار قانون الطوارئ بأن إسرائيل تطبقه منذ نشأتها، فقلت: (مالوش معنى غير إننا عايشين تحت الاحتلال)، وسألتني عن رأيي في قصر تطبيق القانون على الإرهـاب والمخدرات، فقلت: (بالنسبة للإرهاب، فالمقصود منه أنهم هيستغلوا القانون في إرهاب الشعب). قالت: وبالنسبة للمخدرات؟ فقلت: (معناه إنهم هيحطوا للبرادعي حتة حشيش في جيبه، وهو خارج من المطار.. وكده هيقدروا يطبقوا عليه القانون براحتهم).

سألتني: هل تعتقد أن الحكومة بتمرير هذا القانون تفكر في نفسها فقط، فقلت لها: (بكل تأكيد.. فقد فاتهم تطبيق القانون في حاجات مبهدلانا بجد مثل الفتنة الطائفية والري بالمجاري والفساد الإداري، وسرقة أراضي الدولة والاحتكار ..إلخ).

سألتني عما يقلقني بخصوص مستقبل البلد، فقلت: (أكتر حاجة مخوفاني إن شيكابالا يسيب الزمالك ويروح يحترف بره).

سألتني عن الحكمة التي أؤمن بها، فقلت: (ما فيش حاجة أكيدة في العالم)، ثم قلت لها: (حتى الحكمة دي برضة أنا مش متأكد منها).

سألتني عن أغرب شيء في مصر، فقلت لها: (الغريب أن الناس في السينما اعتادوا أن يوجهوا كلامهم للأبطال الموجودين على الشاشة سواء بالتهكم أو بالتشجيع وما حدش قادر يصدق إن أبطال الفيلم ما بيسمعوش).

وسألتني عن أكثر موقف غيّر في شخصيتي، فقلت لها: (في يوم فكرت أن أصيغ على شخص اعتقدت أنه غلبان فسألته «تفتكر ممكن ألاقي فين الكلب أبو ٣ رجلين»، فقال لي بثبات: «هتلاقيه مكان ما أنت سبته».. يومها آمنت أنه من الغباء أن يعتقد الشخص أنه أصيغ من اللي قدامه).

وسألتني عن تعليقات القراء على المواقع الإليكترونية للصحف، فقلت: إنه الجيل الجديد الذي طور نفسه بعدما كان الجيل الذي يسبقه يكتب تعليقاته على جدران المراحيض العمومية).

وسألتني عن أكثر شخص أحرجني، فقلت: (أمين شرطة ضبطني في إشـارة أتحدث في الموبايل، فحرر لي مخالفة، استفزني فقررت أن أضايقه.. تأملته فوجدته يعلِّق محمولا في حزام البنطلون فسألته ساخرًا: «الموبايل ده لعبة ولا بجد؟» فقال لي: «لأ، لعبة.. تحب تيجى تلعب؟»).

وسألتني عن أغرب موقف تعرضت له، فقلت: (أحب طبق الكشك بالفراخ، وفي يوم سألت البائع: «عندكم كِشك صعيدي؟» فقال لي: «هو حضرتك صعيدي؟» أزعجتني سذاجته فسألته: «يعني لو كنت سألتك على مكرونة ابقى إيطالي، أو لو كنت سألتك على زيتون كالاماتا أبقى يوناني؟ «فقال لي الرجل: «لأ، طبعًا»، فسألته: «طيب ليه لما سألتك على كِشك صعيدي افتكرت إني صعيدي؟» فقال لي: «علشان دي أجزاخانة»).

برما بيتكلم بلدي؟

عندما سألك الشاعر جمال بخيت على لسان لطيفة: (تعرف تتكلم بلدي؟) ماكانش بيهزر، فأنت ربما تجيد اللغة العامية المصرية، لكن اللغة البلدي لها ناسها، وهي لغة غير مرتبطة بطبقة اجتماعية متدهورة أو مستوى ثقافي منحط، فهي لغة السمكرية وطلاب مودرن أكاديمي في الوقت نفسه، هي لغة بنت شارع تتميز بقدرة تعبيرية عجيبة، وبها من البلاغة ما يجعل الجميع يستخدمها وهو يشعر أن كل مفردة تقول ما لا تستطيع أي لغة أخرى أن تقوله.

الفرق بين اللغة العامية واللغة البلدي أن الأخيرة يحتاج تعلمها إلى قدر من (المرمطة) في الشوارع؛ لذلك هي ليست متداولة بين كبار السن والمحافظين والمحفلطين الذين يخترقون الشوارع في سيارات مكيفة، ولم يستقلوا يومًا ما ميكروباصًا أو توك توك، ولم يتناولوا يومًا ستندوتش سجق أسكندراني عند أبو رامي أو طاجن عكاوي عند البرنس ولا يجالسون العامة في مقاهي وسط البلد، ولا يشاهدون المباريات إلا من خلال الأستوديو التحليلي ذي رابطات العنق التي يتماشى لونها مع شعار شركة المحمول الراعية للبرنامج.

الفرق بين اللغة البلدي واللغة البيئة أن الأولى تحتاج لقدر من الذكاء واللباقة بحيث تستخدم الكلمة في موضعها دون أن تكون جارحًا، ودون أن يكون استخدامها في موقف غير مناسب أو أمام شخص قد لا يفهم ما تقوله، بينما اللغة البيئة فهي مرادف لدرجة

أقل من الذكاء، وهي دائمًا محل للسخرية إذا ما قيلت في غير موضعها، بينما اللغة البلدي دائمًا محل للتفكير والتأمل.

مفردات اللغة البلدي تحتاج إلى قاموس فهي كثيرة، لكنني اخترت اليوم أن أشرح المفردات التي تم طرحها منذ فترة طويلة في السوق، وحققت نجاحًا جعلها تثبت أقدامها في حوارنا اليومي، وتجاهلت المفردات التي ما زالت تجرب حظها على وعد بشرح ما ينجح منها، ويستقر في وجداننا، ولكن هذا لن يظهر قبل عامين على الأقل ..

■ **التشتيح**: ويقال: إن فلانًا (مشتح) بمعنى أنه يعاني من تفكك تام في عضلات جسمه، الأمر الذي يجعله يبدو شبه منهار وعلى قيد الحياة إكلينيكيًا، مثال: يقال: (أبويا إداني حتة دين علقه قعدت بعدها أسبوع مشتح).

■ **البرطمة**: كلام غير مفهوم، لكنه يعبر عن الاستياء وعن كون المبرطم جبانًا لا يقوى على التعبير عن اعتراضه أو استيائه لظروف قهرية، مثال : يفرض عليك والدك فرمانًا بعدم الخروج مع أصدقائك الذين ينتظرونك .. يثير والدك غضبك بشدة فتنسحب من أمامه، وأنت تسب الملة للظلم والقهر بعد أن تدغم حروف الجملة كلها في كلمة واحدة، يفشل والدك في تبيين ما تقوله لكنه

يشعر بمحتواه فيسألك: (أنت بتبرطم بتقول أيه؟) وعادة ما ترد عليه قائلًا: (ما بأقولش).

■ **الخرتتة**: وهي بمعنى التنطع ورمي الجتت ، أن تخرتت على شخص؛ يعني أن تأخذ منه بالثقالة ما لا يحق لك أو ما لا يدعوك له، والفرق بينها وبين (البرشطة... بمعنى الهبوط من أعلى ببراشوت على ما لا يخصك) أن من يقوم بالأخيرة شخص طيب، وعشمان فيمن حوله، لكن الخرتيت قاطع طريق ثقيل الدم.

■ **الحبرشة**: قد تتوقف يومًا ما في الشارع لتسأل شخصًا عن عنوان، وبينما هو يجتهد في وصفه لك (وهو ما يعرفوش أصلًا)، ستجده يعدل وضع ملابسه الداخلية بمحتوياتها بأن يسحب البنطلون لأسفل أو يحركه يمينًا أو يسارًا بأطراف أصابعه، وهناك أشخاص يفعلون ذلك طول الوقت لا إراديًا، وعندما تلفت نظره إلى وجوده في مكان عام سيقول لك: (أيه يا عم باحبرش ما فيهاش حاجة).

■ **التكشيم** : وهو أن تعطي شخصًا مستفزًا (الوش الخشب)، فتغلق عليه الطريق قبل أن يوجِّه لك إهانة أو تطفّل، يقال: إن فلانًا جه يقفش عليَّ رحت مكشم له، والتكشيم هو أفضل حائط دفاع ضد الخرتتة.

■ **الطرمخة**: وهي أن تداري على جريمة ما أو خطأ بمنتهى البجاحة، الطرمخة هي أقصى درجات الاستهبال والتنكُّر، يقال مثلًا: إن الحكومة طرمخت على موضوع المادة ٧٦، ويقال أحيانًا هو الصاحب ليه أيه عند صاحبه؟ (كدبه وشهادة زور وطرمخة).

■ **الحسوكة**: وهو البطء المبالغ فيه في الأداء، يقال: إن فلانًا محسوك؛ لأنه ينفذ ما يحتاج تنفيذه شهرًا في ثلاثة أشهر، وعندما يطول الزمن بالمحسوك، ويفشل في مهمته قد يلجأ إلى الطرمخة.

■ **الحنتفة**: وهي التجميل الزائد عن اللزوم، يقال: إن الشخص محنتف في نفسه؛ أي: أنه يعتني بمظهره لدرجة منفّرة، وقد يكون الشخص محنتفًا في عمله وهو أمر منتقد أيضًا حيث تؤدي هذه الحنتفة إلى تعطيل المراكب السايرة، وقد يلجأ البعض إلى الحنتفة لتطفيش من يرجو منه أي مصلحة حيث إن التعامل معه يحتاج إلى صبر شديد وطولة بال.

■ **التنفيض**: وهو التخلص من شخص يطاردك بادِّعاء الإصابة بفقدان السمع أو البصر وأحيانًا بادِّعاء الشلل، وقد يضطر أن يعمل نفسه (مشتَّح)، وأحيانًا ينفض الشخص بلا أية ادِّعاءات إذا كان يمتلك قدرًا لا بأس به من البجاحة.

■ **كوسة**: وهي شعار المجاملة الفجة، يقال: إن اتحاد الكرة عاقب جمهور الزمالك، ولم يعاقب جمهور الأهلي.. ما هي كوسة، وأصل القصة تعود إلى أيام الدولة الفاطمية حيث كانت أبواب النادي تغلق بعد منتصف الليل، ويمتنع دخول أية بضاعة فيما عدا الكوسة التي يتم جنيها ليلًا حتى تباع في اليوم التالي طازجة، فكان التاجر يقف ببضاعته، ويطرق الباب فيسأل الحراس مين؟ فيقول لهم (كوسه)، فيسمحون له بالعبور، وتعتبر هذه المفردة من أقدم مفردات اللغة البلدي (بأقول لك من أيام الفاطميين).

■ **ما شقهاش ضنا**: تقال عن المرأة التي لم تنجب والتي تتضاءل فرصها في الإنجاب، تقال أحيانًا بصيغة تعاطف (يا عيني ما شقهاش ضنا)، لكنها كثيرًا ما تقال بصيغة معايرة (هتعرفي منين وأنتِ عمرك ما شقك ضنا؟).

■ **جاحد**: قد تبدو الكلمة، وكأنها صفة سلبية مثل ابن جاحد، ولكن الحقيقة هي كلمة مدح من الدرجة الأولـى، إذ يقال عن الشخص المبهر إنه جاحد (شيكابالا ده لعيب جاحد)، وقد تقال عن شيء ما يحظى بإعجاب فوق العادة (فيلم ايفيتار ده فيلم جاحد).

■ **التنكيحة**: وهي أجرة السمسرة في أي موضع في الحياة، يقال: إن فلانًا هيخلص لك ورقك العطلان في المحافظة فتسأله وتنكيحته كام؟

■ **الكحولة**: وهي صفة الشخص الفاشل في عمل أي شيء مفيد، والكاحول هو شخص لا يمكن الاعتماد عليه بتاتًا، ويتميز بقدرات ذهنية متواضعة وغباء فطري.

■ **شغل فنادق**: وهو مصطلح عبارة عن شهادة تقدير لا تقل عن الأيزو بأي حال، وتدل على مدى جودة ونظافة الشغلانة، يقال: حسام حسن عمل مع الزمالك شغل فنادق بصحيح.

■ **الأنتخة**: هي الكسل الشديد المقترن بقدر من الرفاهية، الفرق بين الأنتخة والتشتيح أن الأولى بها مساحة كبيرة من اليقظة والوعي، ويمكن التخلي عنها فورًا إذا ما حدث حادث، لكن المشتح قد تلتهمه النار التي شبت في الكنبة بسهولة، الأنتخة مكلفة فهي تحتاج لبعض الأشياء المسلية حتى يصبح لها طعمًا مثل شاشة الـ سي دي ٤٢ بوصة وليفينج أميريكي بمخدات تغوص بالجالسين أو على الأقل طبق فاكهة ودخان ودفتر بفرة.

■ **التفخيد**: هو الأنتخة عندما لا يكون هناك أية وسائل للتسلية، وهي إكلينيكيًا درجة متوسطة بين الأنتخة والتشتيح.

■ **التجرمة**: وهي أن يكون الشخص مالوش كبير، وميت القلب، ولا أحد قادر على ردعه، ولا يخشى شيئًا، الفرق بينها

وبين البلطجة أن الأخيرة لابد أن تكون مؤذية بدنيًا لمن يقف في وجهها، لكن التجرمة لا تحتاج فيها بالضرورة للعنف، فمن الممكن أن يتجرم الشخص على زوجته، ومن الممكن أن يتجرم الكاتب على شخصية عامة في مقال ما وهكذا.

■ **لطازانه**: وهو شخص يشبه الباذنجان المقلي بعد مرور أكثر من ساعتين عليه في الطبق، حيث يكون قد تشبَّع بالزيت والدقة، وأصبح ثقيل الوزن وشديد الرخاوة بخلاف أنه فقد جزءًا كبيرًا من طعمه الشهي، والشخص اللطازنة هو شخص ثقيل الدم وثقيل الحضور من النادر أن تستفيد منه بشيء، وأهم ما يميزه أنه دائم الحبرشة.

وحشتنا يا ريس

(برما يكتب رسالة بمناسبة زيارة السيد الرئيس لأمريكا-٢٠٠٩)

سيدي الرئيس..

مرت ثلاثة أيام على غيابك عن بلدك وأهل بلدك، مروا كأنهم سنوات من العمل الشاق لمحاسب مصري في الدمام، أيام ثقيلة كطلة تامر أمين ومظلمة كطريق الواحات، نفتقدك كما يُفتقد البدر في طرة الأسمنت، وندعو الله ألا تطول غيبتك، وأن تعود لنا سالمًا، واعمل حسابك لازم نفطر مع بعض أول يوم رمضان.. إن شاء الله.

الأمور هنا مستقرة وكله على ما يرام، الحمد لله المستشار عدلي حسين أثبت أنه غير مسئول عن إصابة القلابوة (أهل القليبوبية) بالتيفود، وشرّف الحكومة وخرج على الجميع بثقة ليثبت أن صفحته بيضاء.. الأمر الذي أراح قلوب الجميع وفي مقدمتهم المرضى الراقدون بين الحياة والموت في مستشفيات المحافظة، أما السكر فقد ارتفع ثمنه جنيهًا بس.. إحنا مقدرين الظروف وعارفين أن البلد داخلة على موسم ورفع الأسعار الغرض منه حماية الشعب من الإفراط في الحلويات تفاديًا لإصابته بالبول السكري، بمناسبة البول لم يتأثر الإقبال على الفاكهة والخضروات بموضوع ريها بماء المجاري خصوصًا ونحن مقبلين على الشهر الكريم الذي نستهلك فيه الكثير من الطرشي الذي تعتمد صناعته أصلًا على

المخلفات؛ لذلك نحن سعداء بالفكرة العبقرية التي جعلت الحكومة تروي الخضروات بالمجاري، ونندِّد بمن يعتبر ذلك إهمالًا؛ لأنه أكيد ضغطه عالي وما لوش في الطرشي، المنتخب بخير الحمد لله وتعادل في آخر مباراة له أمام غينيا، واتمسح بكرامة دفاعه نجيلة الاستاد بس أحمد عيد عبد الملك بيّن كرامة أخيرًا وجاب جون، وفيه عيل طالع جديد اسمه السيد حمدي باعت لك في الرسالة اللينك بتاع جروب محبيه على الفيس بوك عشان لو عايز تنضم.

بخصوص الأستاذ جمال، فلا تقلق عليه فتمثيلية الحوار الذي أجراه على النت مع شباب مصر كانت تحفة، وتستحق أوسكار آخر حاجة، فقد قامت أمانة النت الباسلة بالحزب بتجميع كل شباب مصر في صورة بالفوتو شوب على كروما، وتحريكها بتقنية الجرافيك بعد الاستعانة بفني جرافيك شاطر في الحرفيين كما تمت الاستعانة بمكتب ريجسير الحاج زهرة لتوفير عدد من الكومبارس للعب دور بقية شباب مصر، وبدأ التجمع أمام كنتاكي التحرير، ثم التحرك إلى القرية الذكية قبل الحوار بثلاث ساعات لعمل ماكياج الشباب المصري (هالات سوداء تحت العينين بالنسبة للأولاد وحواجب ملتصقة بالنسبة للبنات)، وسارت الأمور كما ينبغي والأستاذ جمال جاوب كويس وحل كل الأسئلة، وبعدين افرض حتى إنه ما حلش صح هيحصل أيه؟

إحنا جميعًا بخير ورايتك فلحت فينا، فقد عملوها الرجالة في الصومال وحرروا أنفسهم من قبضة القراصنة، وعادوا لك بهدية عبارة عن أسير من القراصنة وهو الآن يجري بعض الاختبارات لضمه إلى قائمة نادي الزمالك، وعندي خبر حلو لسيادتك مدينة (قها) طلعت الأولى على العالم، صحيح أنها الأولى عالميًا في تلوث مياه الشرب لكنه في النهاية تمثيل مشرف، أما خبراء وزارة العدل فهم صامدون في مكانهم لليوم الواحد والأربعين على التوالي، هما بس كانوا نفسهم يشوفوك قبل ما تسافر بس عارفين إنك سافرت فجأة عشان كده مازعلوش وقاعدين في انتظار سيادتك، أما الناس في مرسى مطروح فهي كانت في طريقها إليك حاملة عتابًا بسيطًا، ولكنهم فوجئوا أن موبايلك مغلق، فسألوا فعلموا بسفرك، والصراحة هم كانوا يودون أن يشكوا لك تقديم موعد آذان صلاة الجمعة ٢٠ دقيقة عن موعده ليتوافق مع توقيت محافظة القاهرة حتى يستطيع التليفزيون المصري أن ينقل على الهواء شعائر الصلاة (التي أمها شيخ الأزهر) في مواعيد الإذاعة المحددة سلفًا، فكانت النتيجة أن (ناس كتير) ما لحقتش تصلي خلف شيخ الأزهر، وأنت تعلم جيدًا غلاوته عند المصريين.

سلام حار لأوباما وبلغه استيائي الشديد من ضم القدس، وقول له: القدس دي لكل الأديان، وبلغه أيضًا تعازينا في الأستاذ مايكل جاكسون وياريت تعرف لنا من أوباما حقيقة الإشاعة اللي بتقول إنه الله يرحمه كان «مِركّب رحم».

الجميع هنا يهدونك السلام ويعدون الأيام حتى تصل بالسلامة.

ملحوظة: نحيطك علمًا أن ألبوم تامر حسني الجديد مكسّر الدنيا.

لماذا خلق الله القهوة مرة؟

نزعت السماعة عن أذن برما اليسرى في محاولة لمعرفة الأغنية التي يستمع إليها باهتمام، انزعج من الحركة (عايز إيه؟) سألني بغضب، فقلت له: أجلس إلى جوارك منذ ساعتين وأنت لا تعيرني أي اهتمام وكأنك حسام حسن وأنا إبراهيم أيوا، ما الذي تستمع إليه؟ فقال: (أغنية كوكب تاني للفنان مدحت خالص)، قلت له: يالها من أغنية عظيمة تليق بالمتزوجين، فقال لي: في الزواج لا يصلح الهروب، وما دمت قد خربت حياتك في هذه البقعة من العالم فحياتك خراب أينما حللت.

سألته.. (صحيح .. أنت متجوز يا برما؟)، قال لي: (بنسبة كبيرة)، ثم راح في صمت يشبه صمت حقول الألغام، بعدها التفت لي قائلًا: (الزواج هو ثاني أسوأ قرار اتخذته في حياتي). سألته عن أول قرار، فقال: (الجوازة الأولانية)، ثم قال: (الزواج فكرة قائمة على الظلم)، سألته عمن يقع عليه هذا الظلم، فقال: (الرجل طبعًا ... فالمرأة خصها الله بميزة، فهي تستطيع أن تتعايش وتمشي أمورها مع رجل نصف دميم نصف متوسط الحال وأكبر منها بعدة سنوات، ويدخن البانجو على فترات متقطعة، ستشكو أحيانًا، ولكنها تشكو بحكم طبيعتها كامرأة تشعر بأنها ظلمت بيولوجيًا، فتظل طوال حياتها تسقط هذا الشعور على كل ما يمر بها، لكنها متعايشة وتجد لنفسها ثغرات تتسلل منها إلى الشعور بالسعادة، مثل أن تحب

ابنها أو تجمع قطع الجهاز لابنتها منذ طفولتها وهكذا، لكن الرجل يصعب عليه كبني آدم له مشاعر وأحاسيس أن يشعر بالراحة للورم الذي نبت فجأة في قفاه حتى لو تزوج واحدة فائقة الجمال فائقة الثراء وأصغر منه بسنوات وتجيد انتقاء قطع اللانجيري).

التفت لي برما قائلًا: (وأنت متجوز؟) فقلت له: (طبعًا)، سألني: (وإيه أخبار الورم؟) فقلت له: الحمد لله التحاليل أثبتت أنه ورم حميد وما بيتعبنيش غير لما بأرجع البيت متأخرًا.

سألني برما: (أنت اتجوزت عن حب؟) فقلت له: (بصراحة أنا حبيت عن جواز)، قال لي: (الحب أعمى). فقلت: (إذا كان الحب أعمى.. لماذا تمتلئ فاترينات اللانجيري بكل هذه الألوان؟)، ثم سألته ..

(الـزواج طموح مشروع يا برما.. أليس كذلك؟) قال برما: الزواج ليس طموحًا أنه فرض أو كما قالت لطيفة: (وده تكليف مش تشريف ولا نغنغة ولا حكم وجاه.. وعشان كده إحنا اخترناه). قلت له: تقصد فرض إلهي؟ قال: نعم.. قلت: أشك. فقال لي: اسمعني كويس يا أبو شكة ..

تعرف طبعًا أن المال والبنون زينة الحياة؟ قلت له: طبعًا. فقال: أن يبدأ الكلام المقدس بـ (البنون)، فهذا معناه أن الزواج

أمر مفروغ منه، مثل الأمر بالصلاة، فعندما يقال (على صلاتهم يحافظون) فمفهوم ضمنًا أن الوضوء أمر بديهي في هذه الحالة، تزوج وقد يرزقك الله بـالبنين زينة الحياة، وإن لم يرزقك بهم ف (الباقيات الصالحات) أفضل، وبحسبة بسيطة عندما تتزوج ولا تنجب ما الذي يتبقى لك؟ قلت له: أيه يا ترى؟ فقال: الزوجة يا بني جهل .. أعتقد والله أعلم أن الباقيات الصالحات هن الزوجات الصالحات ..فهمت حاجة؟

قلت له: ما جاوبتش برده على سؤالي.. هل الـزواج طموح مشروع؟ سحب برما السماعة الأخرى من أذنه، ولف السلك حول الآي بود، ثم وضعه في جيبه، أخذ نفسًا عميقًا، ثم سحب كمية كبيرة من البلغم (خخخخات)، وسدده بعيدًا، ثم سألني: (معاك سجاير؟) فأخرجت له آخر واحدة، وسألته: (تخمس؟) فهز رأسه بالموافقة، أشعلتها ثم أعطيتها له (مساء الفل يا مدرسة). فقال لي بتواضع: (مساء الخرة).

بعد صمت دام ثوانٍ قال برما: المغفلون أمثالك يعتقدون في مرحلة ما من عمرهم أن الزواج طموح مشروع، وتسمع الشاب من دول يقول لك بثقة: فيلسوف هندي وصل إلى الفلسفة بعد أن تناوب بعض الباكستانيين الاعتداء عليه في إحدى الزراعات المهجورة (عايز أتجوز علشان استقر)، والشخص الذي يرى

الزواج طريقًا للاستقرار لا يختلف عن الشخص الذي يرى جريمة القتل طريقًا لجائزة نوبل في السلام، الترتيب خاطئ .. فلابد أن تستقر حياتك أولًا، ثم تبدأ رحلة الزواج.

أنهى برما في اندماجه السيجارة بمفرده فلم أعلق، لكنني سألته: وما هي المرحلة العمرية التي يطمح فيها الشاب المصري إلى الزواج؟ فقال لي: هذا أمر شرحه يطول، فقلت له: إذن وبما إن الكلام هيحلو، هل تسمح لي بمشوار صغير لحد (أون ذان رن) لشراء اتنين اسبرسو وعلبة دخان؟ هز رأسه بالإيجاب، وشدد على أهمية أن يكون الإسبرسو دوبل.

عدت له محملًا بلوازم القعدة، رفض أن يضع السكر على القهوة قائلًا: (خُلقت القهوة لنستمتع بمرارتها، مثلما خلقت الفاكهة لنستمتع بحلاوتها، لو كانت الحكمة تقضي أن نشرب القهوة محلاة لخُلِقت حلوة، من المغفل الذي يفكر في تخليل حبات المانجو؟)، أعجبتني النظرية فأفرغت نصف كيس السكر في فمي، ثم بدأت أرشف القهوة ساخنة.

قال برما يطمح الرجل المصري للزواج في نهاية مرحلة العشرينيات، قبلها يكون طموحه متمثلًا في إنهاء فترة التجنيد بأقل قدر ممكن من المشقة والبهدلة، ثم استخراج جواز سفر (قد يصل

إلى سن الخمسين قبل أن يرى على صفحاته تأشيرة واحدة)، ثم التخلص من الفتاة التي ارتبط بها في الجامعة، ثم البحث عن عمل مؤقت يوفر مصاريف الجيب ومحاولة إقناع نفسه أن التحرر من سطوة المنزل لا يعني عدم تناول الطعام معهم، ثم شراء لاب توب بالتقسيط، ثم تنظيم الوقت بحيث يتمكن قضاء ساعات العمل في البحث عن وظيفة جديدة على النت أو في الوسيط، ثم تقسيم وقت الفراغ بين الرياضة (حضور تدريبات الأهلي وماتشاته)، والقراءة (على موقع يالا كورة)، والكتابة (على وول الأصدقاء على الفيس بوك)، وتنمية الذات (البحث عن صاحبة جديدة غير التي أوشك على التنفيض لها)، وحضور الندوات (لقاء مع رواد الإستيمشن على مقهى زغلول)، وتوسيع المدارك والأفكار (تحميل ألبوم أبو الليف من موقع افتكاسات)، وصلة الرحم (الاتصال بزوج خالته الرائد لإنقاذه من لجنة أمسكت به في شامبليون بدون بطاقة، ولكن بالكثير من ورق البفرة)، والتفكير في خطط جديدة للمستقبل (تجديد الباسبور)، ثم تغيير الشركة التي يعمل بها والانتقال إلى مكان أفضل (هو أفضل لأن موظفيه يرتدون يونيفورم أيًا كان، ويساعدك في إنجاز أوراقك لشراء سيارة بالتقسيط، ومكاتبه مكيفة، ومقره في السادس من أكتوبر، يؤمن لك مساهمة في العلاج وتخفيضات على رحلات المصيف وخطوط بيزنس)، وبنهاية المرحلة يبدأ التفكير في بنت الحلال، وعندها قد يقوده الطموح إلى فتح دفتر توفير.

كان برما يتحدث كأنه يعيش لحظة بلحظة مع شهاب ابن عمتي؛ لذلك سألته وأنا قلق: (طيب وفي الثلاثين يا عمهم)، فقال في الثلاثين وبعد جلسات جماعية في الصالونات والكافيهات: أنفق فيها ربع ما أدخره يعثر على بنت الحلال... يقرر أن يتقدم لها رسميًا دون أن يفكر في التوقف للحظة أمام أجراس الخطر التي تدق في كل مكان، ثم العثور على شقة على أطراف العاصمة إيجار قانون جديد بشرط ألا يتجاوز التأمين إيجار ثلاثة أشهر، ثم إقامة فرح وقضاء أسبوع عسل، ثم محاولة إصلاح الوضع المالي المتعثر بـ(النقطة)، ثم إنجاب طفل، ثم البحث عن حجج للتواجد خارج المنزل، ثم البحث عن مورد رزق إضافي.

وفي الأربعين يكون طموح الرجل مُنصبًا في البحث عن نزوة لقناعة ما تهبط عليه، تقول: إن الزواج بقى عامل زي تقسيمة في تدريب، والرجل بطبعه هولاكو سيقهره الشعور بأنه فقد القدرة على تحقيق أحلامه التوسعية، وفي الخمسين يطمح لمغادرة الوظيفة وهو في أفضل موقع ممكن، ويطمح لاستغلال الفرصة وهو مـازال في منصبه لتزويج البنت والسفر للحج وإجـراء فحوصات طبية شاملة، وفي الستين يطمح ألا تحول الأمراض التي ظهرت عليه بينه وبين السفر لأداء فريضة الحج، وفي السبعين يطمح أن يكتب مذكراته وإن لم تكن الفرصة متاحة فهو

يلقيها شفاهة على من حوله، ويطمح من ناحية أخرى في تجديد علاقته بالحياة عن طريق أحفاده.

وفي الثمانين كيف يكون الطموح؟ سألت .. فقال برما (ما أقدرش أقول لك دلوقتي). سألته عن السبب، فقال: (لسه الحزب ما قالش هيرشح مين).

سألته.. (طيب هل الطلاق طموح مشروع يا برما؟) فكر برما قليلًا، ثم قال: مش عارف .. كل اللي أنا عارفه إنه فيه حتة معينة في الجواز لو باظت يبقى الجوازة كلها باظت.. وأذكر أنهم سألوا طليقة مندوب مبيعات عن سر الطلاق، فقالت: «كعادة كل مندوبي المبيعات ضحك عليَّ وباع لي بضاعة مضروبة»، وسألوا طليقة تاجر قطع غيار فقالت: «كان فاهم قطع الغيار صح بس ماكانش عارف بتتركب إزاي»، وسألوا طليقة موظف، فقالت: «كان فاهم المطلوب منه بس ما كانش متأكد ده من اختصاصاته ولا لأ». وسألوا طليقة طبيب نفسي، فقالت: «كان بيحب يتكلم عن الحاجات أكتر من الحاجات نفسها»، وسألوا طليقة مدير تسويق، فقالت: «كان بيبيع منتج هو شخصيًا ما بيعرفش يستخدمه»، وسألوا طليقة مهندس فقالت: «درس كل حاجة كويس وبعدين قال لي: واضح إن فيه مشاكل في التصميم».

القسم الثاني

الحكي في رحاب برما

الحكي في رحاب برما عن رجل الشارع

التقى المواطن (محدود الدخل) بـ(المرأة العاملة)، فتزوجا وأنجبا (الطالب المتوسط) الذي تأتي الامتحانات عادة في مستواه، نجح الطالب المتوسط وأنهى تعليمه وأصبح (رجل الشارع)، تمر الأيام وهو يستمتع بخطة الإصلاح التي تبنتها الحكومة والتي لا نملك دليلًا واحدًا عليها سوى (سيتي ستارز).

كبر رجل الشارع، وأصبح يقرأ الصحف القومية بالطريقة نفسها التي ينظر بها إلى النساء (من الخلف للأمام)، يقرأها هكذا لأن الصفحة الأولى التي تحمل مانشيتات الحكومة فقدت مصداقيتها وبمرور الوقت أصبحت تعبر عن وطن آخر لا يشبه الذي يعيش فيه.

رجل الشارع غير مهتم بالبرادعي ولا التوريث ولا حتى نشرة الأنباء الجوية، ولا يهتز لانهيار البورصة، هو فقط مهتم بلقمة العيش، ويشعر طول الوقت أن وزير المالية (باصص له) في هذه اللقمة للدرجة التي أرهقت عيون الوزير وجعلته ينفق على علاجها أكثر من مليون جنيه!!

رجل الشارع حرم في طفولته من سماع جملة: (خش أوضتك)، لكنه سمع كثيرًا: (ما أشوفش وشك في الأوضة دي تاني)، ولم يحظَ بمشاهدة دجاجة كاملة على الطبيعة، ويعتبر الجولف نوعًا

من أنواع الدعارة، وكان كلما سأله أحد (نفسك تطلع أيه لما تكبر؟) يجيب قائلًا: (نفسي أطلع من دلوقتي).. لا يتعامل مع الحكومة إلا في أضيق الحدود، وعندما كان يطلب مساعدتها كان يكتفي بأن يرن عليها، لكن الحكومة في كل مرة كانت لا تتردد في أن تفتح عليه، لم يقع أبدًا في دائرة الشذوذ، لكنه عندما ذهب لاستخراج بطاقة وقف أمام خانة النوع وكتب (مذكر سلبي).

رجل الشارع أصبح بمرور الوقت ضحية لأكبر مشروعين في مصر حاليًا، مشروع معامل التحاليل ومشروع أستوديوهات التحليل، تطل عليه إعلاناتهما بكثافة من كل مكان، يذهب إلى الأولى في الصباح في محاولة لأن يعرف لماذا أصبح يشعر أنه عجوز في هذه السن المبكرة، ومساءً تأتي إليه الثانية محملة بالعواجيز ليساعدوه في فهم ما الذي سيضيفه جدو للنادي الأهلي بعد التوقيع له.

أقلع رجل الشارع عن التدخين بعد أن وضعت له الحكومة على علب الدخان صورة موحية وتحذير من الأثر السيء للتدخين على العلاقة الزوجية، رجل الشارع غير متزوج (بس خاف على العدة)، رجل الشارع لم يتزوج لا لأنه لم يجد فتاة ترضى به (بالعكس فتيات طبقته الاجتماعية يرحبن بأي عريس حتى لو كان عاطلًا عن العمل .. حتى وهن متأكدات أنهن سيتولين الإنفاق على البيت)، لكنه لم يتزوج لأنه يعرف جيدًا أن ابنه سيكون (طفل

شارع)، وحتى توفر الحكومة حماية كافية لأطفال الشوارع يكتفي رجل الشارع بالمشاركة في حفلات التحرُّش الجماعي في المواسم والأعياد، ومن حين لآخر يشارك في الاحتفال بالمنتخب ليس فرحة به، ولكن من أجل تسييح البرشامتين في الدوشة.

رجل الشارع يصدق كل ما يقال له، ويقدس كل من يظهر على شاشة التليفزيون، ويعتبره (عدَّى خلاص)، وإذا فكر في الاستغاثة بمسئول كبير لن يأتي رئيس الجمهورية في باله، ولكن محمود سعد، له قدرة هائلة على التخفي والهروب غدار و(مالوش مسكه)، ولا يخاف من ضباط الشرطة، لكنه يموت رعبًا من المخبرين ولا يفهم معنى الفتنة الطائفية، فهو متعايش مع الجميع بلا دين بعد أن كفرته الحكومة، وإن كان يتظاهر بالتدين عندما يجيب على أي سؤال يوجه له (حتى لو كان عن اسمه) بتقديم المشيئة.

رجل الشارع يأكل الكثيرون عيشًا على قفاه، الحكومة تدعي أنها تعمل من أجله والمعارضة تقول: إنها تدافع عنه، ومراكز البحوث تقول: إنها استطلعت، رأيه والفنانون يقولون: إن رأيه أهم من رأي النقاد، والحقيقة أنه لو حد منهم شاف رجل الشارع في الشارع مش هيعرفه.

الحكي في رحاب برما عن جنون الستاتيوس

يسير العالم خلف شاب أمريكى فى العشرينيات يقول عنه أصدقاؤه أنه مشوش ومرتبك نفسيا ومهووس بملاحقة الفتيات وكـان هذا هو السبب الرئيسى وراء اختراع الـ face book وترجمته الحرفية (كتاب الوش).

اسمه مارك ذكر برج (وهو «ذكر» بالفعل إذ استطاع أن يحبسنا جميعا داخل صندوق الفيس بوك) ويحتل حاليا مكانة متميزة فى قائمة أغنى ١٠٠ شخص فى العالم، ضرب ضربته وعثر على كنز على بابا بالصدفة بينما يؤسس شبكة للتواصل مع زميلاته فى جامعة هارفارد فأصبح العالم كله على اتصال به من خلال هذه الشبكة.

مارك يجنى الملايين كل شهر بينما أراقب نفسى لأفهم كيف أصبحت مريضا بالستاتيوس.

يوميا يضيع وقـت طويل فـى اختيار الجملة التي تصلح كستاتيوس.. أظل طوال اليوم أتأمل ما يقوله الناس من حولى وأدقق الاستماع إلى كلمات الأغانى وأترقب أى إفيه طائش، بحثا عن الجملة التى تستحق هذا الشرف .

الستاتيوس هذا الإختراع العبقرى يمنحك القدرة على الرد على من يضايقك بالتلقيح، أو لفت نظر من وقعت فى غرامه حتى يشعر

بك، أو تفريغ شحنة غضب ألمت بك لسبب شخصى أو عام، بل أنك أحيانا تخاطب الله عبر الستاتيو تدعو أو تشكو أو تحمد أو تطلب منه الدعم، يصلح أحيانا كلوحة إعلانات تروج من خلالها لأنشطتك الإبداعية، ويصلح كجدار فى حمام عمومى تكتب عليه ما لن تجرؤ على التصريح به فى أي مكان آخر، وهناك من يستعمله كميكروفون يخاطب الناس من خلاله كرجل حكيم يمتلك وجهة نظر – غالبا مفرطة فى السذاجة والركاكة – يصر على أن تصل إلى الناس، وهناك من يعتقد أن الناس مشغولة بحالته المزاجية فيقدم لهم تقريرا عنها عبر الستاتيو مع كل تغير فيها، هناك من يستخدمه كمقال نقدى يقدم فيه رأيه الذى لم يطلبه احد فى أى عمل فنى جديد، هناك من يستخدمه بحثا عن الشهرة بكتابة كلام إما صادم أو غامض، هناك من يستخدمه لتنبيه الناس لأنه فقد موبايله ويحتاج إلى أرقامهم من جديد أو أن ثمة هاكر اخترق حسابه ويطالب الناس بعدم التعامل معه أو الرد على أى رسائل تصل من حسابه أو لأنه لديه مشوار فى شارع البرقوقى ويسأل الناس كيف يصل إليه (هما قالوا لك فين؟) أو لأنه سيكون موجودا اليوم فى برنامج «بابا جاب موز» على قناة الأسرة والطفل فى الخامسة عصرا ليحث الناس على مشاهدته ربما أو ربما يود أن يعرف لو فيه حد عايز حاجة من هناك، هناك الطامة الكبرى هؤلاء الذين يحسبون أنهم ساخرون وهم تجار بيض بلدى يقفلون لك يومك بدرى بدرى بستاتيو من مدرسة الفنان محمد

عوض، هناك من يستخدمة كمنصة فى فرح بلدى ويصعد لينقط بورقة بخمسين ليشارك فى تحية من أجمع الناس على استحقاقه لها (اشمعنى أنا ماانقطش؟)، هناك الطيب الذى يعتقد أن الناس ستنتظر بالفعل آخر ابتكاراته (انتظروا.. كتاب «خدونى معاكوا يا هافجّر نفسى» قريبا بالمكتبات)، هناك المتواضع الذى يصف نفسه كل يوم بطريقة جديدة (حمادة الجامد: عيبى إنى صريح)، وهناك من يكتب الستاتيو من على شازلونج الطبيب النفسى مفاجئا الناس باعترافات جريئة كل يوم، هناك من يستخدمها للتهديد (هانفخك)، هناك المتعصبين كرويا (الزمالك فرحانين بفوز الإسماعيلى..لولا البياض والصفار ما كان هناك بيض)، وهناك من يستخدمه كصفحة وفيات قد يرثى فيها شخصية عامة أو عائلية أو قد يرثى من خلاله قلبه الذى صدمته حافلة غبية أو قيم لم يكن يعرف أنها قد ماتت منذ زمن كالإخلاص والأمانة و كل هذا الندب الذى ستجده بسهولة على مؤخرة أى ميكروباص (الناس مالهاش أمان).

تكتب الستاتيوس أحيانا وليس فى بالك الناس.. ثمة شحنة ما تتراكم بداخلك ضاغطة على أعصابك تنتظر اللحظة التى ستعود فيها إلى البيت لتدخل الفيس بوك وتكتب الستاتيوس فتهدأ، وأحيانا تكتبه لأنك تشعر بوحدة قارسة وتود أن تتواصل مع آخرين فتكتب ما يبدو كلمبة نيون قادرة على إجتذاب الفراشات لتلهو معها .

الستاتيوس كمين يكشف لك أشياء قد لا تعرفها عن صديق من لحم ودم أو صديق متخيل كل ما يجمعكما هو رحاب الكيبورد، والقاعدة هى (تعرف فلان؟.. أيوه أعرفه، عندى على الفيس بوك.. علق على أى ستاتيوس لك؟.. لأ لم يعلق.. تبقى ما تعرفوش)، الستاتيوس يجعلك تكتشف كثيرين على حقيقتهم ويجعلك تؤمن بالمقولة الموجودة على المرايات الجانبية فى السيارات (الأجسام الحقيقية تبدو أكبر مما تراه فى المرآة) ، هناك من يدخل ليعلق بنفسية ضاربى الكرسى فى كلوب الفرح .. معارضين على طريقة عضو الحزب المعارض الذى نجح فى الإنتخابات فطعن بالتزوير وطالب بالإعادة.. يعارضونك أو يعارضون الإتجاه العام للمناقشة بلا هدف سوى أن تبدو صورته المرافقة للتعليق أكبر ما يمكن، ستكتشف مناضلين إليكترونيين هم التطور الطبيعى للفنان محى إسماعيل فى «خللى بالك من زوزو» لا يقرأون ما كتبته على الستاتيو لكنهم سيتركون لك رابط لجروب (تحدانى مسيحى أن أجمع مليون واحد يقولون لا إله إلا الله على الفيس بوك) وهم نوعية لابد أن تجمعهم فى جروب «إنا لله و إنا إليه راجعون»، ستقابل الناس الشيك أصحاب الحضور الخفيف على الروح الذين يعلقون بـ Like أو بابتسامة رقمية :)، ستكتشف أذكياء يضيفون إلى وجهة نظرك أبعادا جديدة تعليقهم دائمًا مصحوب برابط لكليب على اليوتيوب أو مقال فى موقع ما يؤيد وجهة نظرك أو

يضيف إليها أو يصحح خطأ فيها، ستكتشف السذج الذين يعلقون على الستاتيوس الساخر بجدية ويعلقون على الستاتيوس الجاد باستظراف، ستكتشف معلقين يتحركون بعرض الفيس بوك بنفسية مندوبى المبيعات الذين يقتحمون جلستك فى أى مقهى ..لا يهتمون بما كتبته على الستاتيوس لكنهم سيتركون لك رابطا لجروب (تخفيضات على منتجات الشموع) أو (جروب نكتة جديدة كل يوم)، ستكتشف الطيبين الذين يعوموا على موجتك أيا كانت فإذا كنت مكتئبا واسوك وإذا كنت مرحا صفقوا لك وإذا كنت مفكرا ناقشوك.. لكن سيدفعك إخلاصهم وتفانيهم فى التعليق الذى يشبه خيوط العنكبوت التى لا فكاك منها إلى عمل Clear للستاتيوس بعد وقت قصير والإنسحاب من الموقع شاعرا بالإجهاد .

قد تتعرض لما يجعلك تقسم ألا تكتب ستاتيوس مرة أخرى أو أن تغلق باب التعليق عليه وقد تنسحب من الفيس بوك كله نهائيا، لكنك سرعان ما ستعود فقد أصبحت مدمنا.. فى كل مرة تفتح حاسبك الشخصى وتدخل إلى الأنترنت تبدأ رحلتك من محطة الفيسبوك وتنتهى عندها، إذا كنت فى العمل فستتسلل إليه كل ١٠ دقائق لفترة قد تحدد لها مدة نظرة عابرة لكنها تستغرق منك الفترة اللازمة لمتابعة كليب هنا وستاتيوس هناك ورابط هنا وديسكشن هناك، أما إذا كان الدخول إليه ممنوعا فى العمل فستحرص عند

شراء موبايل فى أقرب فرصة على أن يكون به أبليكشن يسمح لك بالدخول من الموبايل بالإضافة لأهمية أوبشن الكاميرا الملحقة به حتى تجمع أكبر قدر من الصور الواضحة لتحميلها على حسابك.. أصبحت لا تقول «يالا ناخد صورة للذكرى» أصبحت تقول «يالا ناخد صورة الفيس بوك»، تعود إلى بيتك متعبا تكاد أن تنام قبل الحادية عشر تقول لنفسك «هابص بصه»، بصه تطول إلى ما بعد آذان الفجر ربما تكون مصحوبة ببعض النسكافيه، تفكر فى أمور مستقبلك للدرجة التى تجعلك تصبح عضوا فى جروب «هيحصلن إيه فى البروفايل بتاعك لو مت»، تحن إلى ذكريات الطفولة فتنضم إلى جروب « إذا كنت من مواليد ٨١ أدخل وهتفطس من الضحك»، من بين كل ٤ Tabs مفتوحين على جهازك هناك ٣ لها علاقة بالفيس بوك، تكون جروب ما وتبذل مجهودا مضنيا فى توسيع قاعدة أعضائه كأنك داخل عركة، تبدو ضيق الأفق أحيانا فلا تعتبر شخصا ما صديقك حقا إلا إذا أضافك، تدخل أى مكان به جهاز كمبيوتر وإنترنت فتظل مترقبا لأقرب فرصة يمكنك فيها أن تحتل الجهاز لتدخل إلى حسابك، تعانى من أعراض إنسحابية قاتلة إذا انقطعت خدمة الإنترنت عن منزلك.. ربما تتسلل بالترننج إلى أقرب سايبر لمنزلك لتحصل على الجرعة، تلتقى بشخص لا تعرفه يستوقفك فى الشارع ويقدم لك نفسه بـ (أنا مجدى زملكاوى أنا عندك على الفيس بوك)، يمتلىء يومك بأحداث كثيرة تفكر

طول الوقت فيها من وجهة نظر «هاقول عنها إيه على الفيس بوك»، تبدو صامتا فى حياتك العادية لكنك نموذج الرجل الرغاى على الفيس بوك، ليت إدمانك توقف عند حدود نفسك لكنك للأسف قمت بإغواء صديق واحد على الأقل بالإنضمام للشبكة.

بمرور الوقت ستصبح مثل كثيرين مصابا بشيزوفرنيا ما، هناك نسختان منك، واحدة حقيقة والأخرى فيسبكاوية، ستدقق النظر يوما فتكتشف أن أصدقائك على الفيس بوك أضعاف أصدقائك الحقيقين ..لا تنزعج فأعضاء جروب «محبى رواية عمارة بعقوبيان» أضعاف أعضاء جروب «محبى الدكتور علاء الأسوانى».

الحكى فى رحاب برما عن عقدة الطفولة

كان المشوار يبدو بسيطًا مثل بقية مشاوير الطفولة، (عمر.. روح هات لنا الزبادي من عند بهجت)، وبهجت صاحب محل البقالة الصغير الموجود على ناصية شارعنا اشتهر بشيئين؛ الأول: إنه يقف في المحل بالبيجاما، والثاني: إنه أفضل من يصنع الزبادي والجبن الأبيض الطازج منزليًا، كانت هذه البضاعة سر شهرته ونجاحه في المدينة، لم تكن سوهاج وقتها قد عرفت الزبادي المصنَّع والمغلف أتوماتيكيًا، كان يصنعه في علب بلاستيك بلا غطاء، وهنا تكمن الكارثة.

المسافة من منزلنا إلى المحل حوالي مائة متر، بالوقت أصبحت المائة متر الأصعب في مشوار حياتي، لم أعد يومًا بالزبادي سليمًا إلى المنزل.

في البداية كان الأمر يبدو استهتارًا طفوليًا، أحمل أكواب الزبادي الملفوفة في ورقة جورنال، وبسبب الرعونة وطيش الطفولة كنت أسقط باللفة عندما يفاجئني الرصيف أو عندما أتورط في محاولة لإحراز هدف بطوبة في منتصف الشارع بقذيفة بسن الحذاء فأشوط الأسفلت، أو أن يختل توازني في مدخل العمارة وخلاص.

عاقبني الأب في البداية بقرصة أذن خفيفة تصاعدت حدتها بمرور الوقت، ثم اختلطت بالتوبيخ الشديد لكوني غير قادر على تحمل المسئولية رغم تفاهة الموقف في اعتقادي وقتها، حاولت أن أتنحى عن هذا الدور، وأن أكتفي مثلًا بشراء الخبز، لكن أهل البيت رفضوا وأصروا أن أكرر المشوار نفسه يوميًا علشان أتعلم، وفي إحدى المرَّات كنت قد صعدت عدة درجات من السلم، ثم فوجئت بابن الجيران كعادة كل المصريين ينادي على أهله (علشان ينزلوا له السبت)، وفي عز حرصي وتركيزي الشديد وأنا أصعد السلم شق هذا السكون الهائل صوت جهوري (يا حاازيييم ..) فانهرت تمامًا، ولم أدرِ بنفسي إلا وأنا ممسك بحازم أنهال عليه ضربًا وصفعًا (كده وقعت الزبادي؟ طرااخ..كده؟ ديب)، وأصريت ألا أتركه قبل أن ينزل والدي ليكون شاهدًا على عدم تقصيري هذه المرة.

بعدها أذكر أنني سمعت أمي يومًا تقول لأبي باكية: (الواد لازم يجيب الزبادي.. لازم ندي له فرصة ونشجعه.. الواد هيتعقد كده)، فبدأت مرحلة جديدة مليئة بالتشجيع وبحلول أبي المبتكرة، في البداية أحضر صندوقًا بلاستيكيًا أزرق اللون لازلت أذكره حتى هذه اللحظة، وطلب مني أن أضع فيه علب الزبادي وأحمله بحرص، وكانت الخطة ناجحة حتى صدمتني درَّاجة أثناء عبوري

الشارع، حاولت مرة أخرى وكانت شبه ناجحة ..أذكر أن والدتي ووالدي كانا يقفان على بسطة السلم يراقبان الموقف ويشجعانني، نظرت إلى وجه أمي ورأيتها مبتسمة، شجعتني ابتسامتها فأسرعت قليلًا فعلقت قدمي بإحدى درجات السلم، ولم أجد ما أحمي به وجهي سوى الصندوق البلاستيك فغطى الزبادي وجهي، سمعت أبي يقولها بصوت عالٍ: (يووووووه)، أما أمي فقد هونت عليَّ الأمر.

منحاني إجازة أسبوع من هذا المشوار، وفي مرة كنت عائدًا أنا وأبي ومررنا بمحل بهجت، اشترى بعض المستلزمات، وفي حركة خبيثة عمل نفسه مشغولًا بحملها، وطلب مني أن أحمل الزبادي، كان أبي خلال هذا المشوار يلعب دورين، دور خبير الكوارث الذي يدرس الأمر ليعرف أسبابه، ودور الملَّاح الذي يوجهني خلال الرحلة، ويبدو أنه اكتشف السر حيث لم يكرر على مسامعي طوال الرحلة سوى جملة واحدة (ما تحطش وشك في الأرض وأنت ماشي)، نجحت خطة أبي ووصلت بالزبادي سالمًا، لم أدخل به إلى المطبخ، ولكن إلى حيث تجلس أمي، كنت سعيدًا ومنتشيًا للغاية، وكانت في عينيها فرحة ودموع ما، وكافئتني أنا وأبي بأن صنعت لنا صينية بيتزا.

أصبح بهجت ثريًا، وحوّل محل البقالة إلى محل لتجارة الذهب، صار يقف فيه مرتديًا بنطلونًا وقميصًا، أما أنا فقد أصبحت رجلًا لا يمتلك أي سبب للسعادة سوى أنه أقلع منذ زمن بعيد عن (البص تحت رجليه).

الحكي في رحاب برما عن بورتو مارينا

مارينا تعني (الميناء)، وبورتو مارينا التي زرتها للمرة الأولى في حياتي تعني (ميناء الميناء)، ودرسنا في اللغة العربية أن تكرار الكلمة يفيد التأكيد، والتكرار الحاصل في بورتو مارينا يؤكد على الفجوة التي سبق أن بدأت في مارينا.

لا أعرف لماذا لا يشعر المرء بالراحة في الأماكن التي يتطلب دخولها العبور عبر بوابة أمن إليكترونية، تلك الأماكن التي لا تشبه المرء، ويزورها من باب الفضول أو لكسر الحاجز النفسي بينه وبينها، ومع ذلك فلا يشعر بالراحة في أماكن من المفترض أنها قد شيدت لهذا الغرض (الراحة والرفاهية).

في (ميناء الميناء) ألتفت حولي فأجد المكان قد بسط نفوذه على أرواح مرتاديه وليس العكس، حالة من التوجس والكبرياء المزيف والافتعال تسيطر على أداء معظم من بالمكان سواء العاملين بالمحلات والمطاعم الذين يبتسمون في وجهك بطريقة تعني أنهم يتقاضون رواتب كبيرة؛ لأن المكان أسعاره مرتفعة، ويستعينوا في حوارهم معك بكلمات إنجليزية ينطقونها بطريقة خاطئة، مرورًا بأصحاب المكان الذين يبذلون جهدًا ما ليبدوا مختلفين عن الضيوف العابرين الذين لن يقووا يومًا على امتلاك شبر في هذا المكان، نهاية بالضيوف الذين يحاولون إيهام أنفسهم طوال الوقت أنهم أفضل من أصحاب المكان، معظمنا ينظر للأثرياء - بلاش

معظمنا عشان ما حدش يزعل- أنا شخصيًا أنظر للأثرياء على أنهم في محنة واختبار من الله، المال ابتلاء أقوى من الفقر في رأيي، والستر هو تمام النعمة، فالقلق يبدأ مع أول جنيه زائد عن الحاجة؛ ولأنها مستورة أشعر باستقرار نفسي كبير، فلا أموال كثيرة تورطك في نمط حياة لا يمكنك التراجع عنه لأنك سترى هذا التراجع فضيحة لن تقوى عليها نفسيًا، فتلهث في سبيل تفادي هذه الإهانة لهاثًا قد يورطك في خطأ ما، ولا فقر مدقع قد يقودك إلى المصير نفسه.

أحمد الله على نعمة الستر ومثل كثيرين أقلق حيال أشياء كثيرة في حياتي، لكنني لا أقلق أبدًا بخصوص الرزق تحديدًا، وهذا ليس مدحًا وليس تواكلًا أيضًا، لكنه يقين ناتج عن خبرة، كان حجر الأساس في هذا الخبرة سؤالًا عابرًا وجهته لجدتي وأنا طفل، سألتها: (هو ربنا بيشتغل أيه؟) فقالت لي بدون تفكير: (بيرزق الناس يا حبيبي)، وهكذا فهمت الدرس الأول، وبعدها وحتى لحظة كتابة هذه السطور كانت الخبرة تتراكم، أضع خطة لكسب بعض الأموال عن طريق القيام بعمل ما، وتفشل الخطة في الوقت الذي تصلني فيه أموال أكثر من عمل آخر لم يكن في حساباتي، أتورط في التزام ما بدون أية أرصدة حالية أو متوقعة ولكن بمرور الوقت تصل المعونة؛ لذلك أفرح دائمًا بدعوة: (ربنا يسدد ما عليك)؛

لأن الواقع وحسابات العقل يقولان: إنني لن أقوى على ذلك، لكن الحقيقة أن ربنا شايف شغله كويس جدًا .. له الحمد والشكر.

خرجت من المكان دون مشاعر محددة إلا شعور بأن هذا المكان لا يخصني، كنت أفكر في أن هناك طريقة ما للحياة في بلدنا لا تشبه الطريقة التي أعيش بها حياتي، وأكدت لي أم كلثوم هذا الخاطر عندما انبعث صوتها من راديو السيارة فور تشغيلها قائلًا: (للناس دنيتهم وإحنا لينا دنيتنا).

اتصل بي صديق موجود في الساحل بالصدفة وسألني: أين أنت؟ فقلت له: أنا في (ميناء الميناء)، فلم يفهم، فقلت له: أنا في بورتو مارينا، طلب مني أن أمر لزيارته، فسألته: أنت نازل فين؟ فقال لي: في قرية (العاهرة الخضراء)، لم أفهم، فقال لي: أنا نازل في (جرين بيتش).

الحكي في رحاب برما عن رحلة سانت كاترين

(١)

أثناء سيرى ذهابا و إيابا فى وادى الراحة المقدس فى سانت كاترين كنت أشعر أن هناك «شىء مش مضبوط».

بعد يومين من التوحد مع جبال الوادى اكتشفت أنى لو كنت أمتلك اختيار الشكل الذى أعيش به على كوكب الأرض لاخترت أن أكون جبلا، الجبل هو أكثر كيان ساخر على وجه الأرض لأنه يطل على المشهد من أعلى دائما، السحب أيضا تطل من أعلى لكنها دائمة الحركة بنزق طفولى الأمر الذى يجعل سخريتها محملة بقدر من الخفة ، الجبل ثابت فى مكانه إلى الأبد الأمر الذى يجعل سخريته مغلفة بحزن ما.

الجبل هو الكيان الوحيد الذى تجلى الله عليه فخر ساجدا، رأيت بعينى «جبل الدكه» الذى حصل على هذا الشرف بإطلالته الغامضة على الدير، جبل رمادى اللون بعكس كل الجبال المحيطة به.. تبدو حجارته ككتل من الرماد المتكلس، وفوقه بنى أحد الرهبان منذ زمن بعيد قلاية ليتعبد بها يقال أن لا أحد تحمل أن يمكث بها وقتا طويلا ، إذا كان الجبل نفسه لم يتحمل إطلالة من نور الله، خر الجبل ساجدا فى كوكب به كثيرين قلوبهم أكثر قسوة من الحجارة.

الجبال أذكى مخلوقات الله.. يفخر الإنسان بعقله فماذا فعل له عقله؟.. حجبه عن معرفة الله معرفة حقة، جعله يطمع فى الحياة وفى أن يحمل أمانتها فى حين اعتذرت الجبال بكل أدب وذكاء عن قبول المهمة فهى تعرف حقيقة قدراتها جيدا، بينما قبلها الإنسان لأنه كان بشهادة الله ظلوما جهولا.

الجبال هنا على الأرض فى أصعب مهمة ربانية على الإطلاق، موجودة لتحفظ لنا توازننا، موجودة كرواسى وأساسات تحمينا من أن تميد الأرض بنا، كلف الإنسان بتعمير الأرض، يعمر الإنسان مهما يعمر لكن لا أمان للعمار الذى ابتدعه إلا بثبات الجبال، مهمة الجبال هى الأرقى والأصعب.. تمطر السحب ويفيض البحر بخيراته وتطرح الأرض ثمارها، لكن ما لم تحفظ الجبال للأرض توازنها فلن يكون هناك معنى لأى شىء على الكوكب، هل أبالغ إذا قلت أنه ثمة شبه بين الجبال والأنبياء ؟، هل ستعتبره تلخيصا مخلا لمهمة الأنبياء إذا قلت أنهم مبعوثون أيضا ليحفظوا للأرض توازنها؟

تزهو الجبال بتجاعيد ملايين السنين المنحوتة على وجهها، وتتراص إلى جوار بعضها كأنها تلتقط صورة تذكارية حميمة وتلقائية مثل التى كنا نلتقطها صغارا مع شلة المدرسة، القصير فى المقدمة والطويل فى الخلف، هذا يفرد ذراعه بالعرض محتضنا اثنين من أصدقائه الأقل حجما، وهذا يقف فى أقصى ركن من

الصورة شاخصا غير مهتم بما يجرى، وفى الخلفية دائما واحد يطل علينا عبر الصورة وإلى الأبد بوجهه فقط.

فى وادى الراحة اكتشفت أن الحزن على الراحلين يكبر فى القلب كالجبل ربما هذا ما يمنحنا رغم الوجع بعض الثبات.

عندما زار الشيخ الشعراوى وادى الراحة أصر أن يخلع نعليه، فقد كان أمرا إلهيا لسيدنا موسى بأن يخلع نعليه لأنه فى الوادى المقدس طوى.. قال لى أحد رهبان الدير هذه المعلومة فى آخر يوم فى الزيارة وهنا فقط عرفت لماذا كنت أشعر بعدم الراحة أثناء سيرى على الرغم من حذائى الرياضى المريح.

(٢)

عند سمع رهبان الدير أن أحد الخلفاء الفاطميين وجنوده فى الطريق إلى المكان خافوا أن يهدم الدير، قضوا ليلة بائسة يفكرون فى الموضوع، لم يكن افتراض حسن النيات كافيا فى مثل هذا الموقف، وفجأة صاح أحدهم ليلا «لن يستطيع أحد أن يهدم هذا الدير إذا بنينا داخله مسجدا» .

الإمكانات ضئيلة والوقت ضيق، ظهرت فكرة جديدة أن يتم تحويل مطبخ الدير إلى مسجد وأن يتم تحويل مدخنة المطبخ إلى مئذنة .. وهو ما حدث بالفعل.

بعد إنتهاء التجهيزات ظهرت مشكلة جديدة.. الرهبان لا يعرفون إتجاه القبلة، كان الحل أن يزود المسجد بقبلتين فى اتجاهين مختلفين لعل الخليفة يغفر لهم انهم اجتهدوا فأخطأوا فى واحدة.

جاء الخليفة وصلى خارج المسجد أصلا.

حمى المسجد المطبخ أقدم دير فى المنطقة من أن يتعرض للضرر فى أى وقت على يد المتعصبين، أمد الخليفة الدير بالحماية والدعم، ولم يفتش على صحة القبلة بالرغم من أن كلا القبلتين كانتا فى اتجاه خاطىء.

لن تستطيع أن تفهم ما الذى يحدث فى كيمياء جسمك وأنت تقف فى مكان تطل من كل زواياه نفحة نور، تقف فى منتصف الدير.. على مرمى البصر قمة جبل موسى هنا أصبح سيدنا موسى كليم الله.. بالقرب منك الشجرة المباركة التى قال سيدنا موسى لقومه أنه آنس نارا عندها.. الشجرة تتدلى فروعها بكثافة وأخضر أوراقها يكاد ينطق.. محاطة بكردون يمنع أحد من الإقتراب منها أو لمسها.. قلت لأحد الرهبان أريد أن أقطف ورقة منها لأحتفظ بها فقال لى «صدقنى ..ممنوع، كانوا الناس قديما يقطفون منها أوراقًا وأجزاءً من الساق لإعادة زراعتها لكن كل المحاولات باءت بالفشل فهى لا تنمو إلا داخل الدير».. إلى الخلف قليلا البئر

الذى وقف عليه سيدنا موسى ليملىء لابنتى سيدنا شعيب جرارهما بالماء قبل أن تصبح إحداهما زوجة له... لأرباب الديانة اليهودية نصيب فى المكان .

تنظر لأعلى فترى غرف الدير الـذى استيقظ أحد رهبانه اليونانين فى ليلة فرحا بعد أن دلته القديسة كاترين على مكان رفاتها التى احتاروا فى البحث عنها فجمعها ووضعها فى تابوت مازالت رائحة الطيب تنسال منه حتى اليوم، القديسة كاترين آمنت بالمسيحية فى عز إضطهاد الإمبراطور مكسيمينوس للمسيحية وحـرض عليها أكثر من ٥٠ شخصا ليخطبونها فيستريح من صداعها لكن الخمسين خطيبا اعتنقوا المسيحية، لأرباب الديانة المسيحية نصيب فى المكان.

أما الوادى الذى يحتضن هذة النفحات فقد كرمه الله بأن ذكره الله فى القرآن، وجاء ذكره مصحوبا بمنحه قداسة أُجبرت كليم الله على خلع نعليه احتراما لها.. للمسلمين أيضا نصيب فى المكان.

عند خروجى من المكان اقترب منى أحد الأشخاص العاملين فى الدير ووضـع فى يدى ورقـة شجر شبه محنطة فى غلاف بلاستيكى محكم، قال لى ورقة الشجرة التى كنت ستقطفها كانت ستذبل سريعا بين دفتى واحد من كتبك، لكن هذة الورقة المقدسة

ستعيش معك إلى الأبد هدية من الدير.. تلفت فرأيت الراهب يقف بعيدا وعلى وجهه ابتسامة .

فى الليل كنا فوق جبل الأكولوج حيث الـلاءات الثلاثة (لا كهرباء. لا شبكة محمول. لا أحد)، من السذاجة أن أصف لك مشهد الجبال والسماء الصافية والنجوم والقمر والصمت الموحى، أنا شخصيا لم أصدق ما أعيشه، كانت الأجواء تدعوك لما بعد التأمل، التعبد ربما؟، قررت أن أصلى فى هذا المكان، توضأت ثم تذكرت رهبان الدير... كيف تكون القبلة فى حضن الليل وهذه الجبال؟

لاحظ البدوى المرافق لنا حيرتى، فعلمنى شيئا مفيدا «فى أى مكان فى العالم.. شوف الناحية اللى الشمس بتطلع منها فين واستقبلها بنص وشك اليمين.. وصلّى».

(٣)

على طول الطريق من شرم إلى سانت كاترين تنتشر الكمائن الأمنية تدقق فى البطاقات الشخصية للغرباءعن المنطقة، بعكس الطريق إذا قطعته بعرض سيناء لزيارة بيوت البدو ومزارعهم مارا بمدقات وعرة وخادعة تحتاج إلى جنى ليحفظها ويكون على علم باختبارات الذكاء المتكررة طول هذا الطريق بين الرمال

وأقـزام الهضاب، المفارقة ذكرتنى بصديق اصطحب زوجته لزيارة من هذا النوع وهناك فقدت الزوجة خاتم الـزواج باهظ الثمن، ذهب بعدها الزوج إلى قسم الشرطة الموجود فى المدينة ليحرر بلاغا طالبا من مأمور القسم أن يعيدوا إليه خاتما هو ثروة فى حد ذاته فقال له المأمور «إذا كنا مش عارفين ندخل نجيب بنى آدميين من جوه..عايزنا نجيبلك خاتم؟» .

طلبت من المرافق أن يؤمن لى مشاهدة ماتش الزمالك وسموحة فى المكان الذى سنزوره فقال لى لا تقلق، عندها فقط شعرت بالقلق وعندما وصلنا إلى مزرعة الشيخ جميل كان المكان ساحرا لكن بلا كهرباء، طلب منا الشيخ جميل أن نتوجه إلى منزل شقيقه على بعد نصف ساعة لنشاهد الماتش عنده «بس عدوا عليه فى المزرعة الأول»، مررنا بالشيخ عامر الذى قال «بس مافيش ماتشات للزمالك النهارده» أكدت له المعلومة فقال «صدقنى مافيش.. الزمالك كان بيلعب من يومين... حتى بالإمارة اتعادل مع الجونة »، مداخلة الشيخ عامر ألجمت لسانى فلا مجال للهرب من المعايرة بضياع النقاط حتى فى قلب الصحراء .

أخرج لنا الشيخ عامر الشاشة الديجيتال فى حوش المنزل المطل على الجبال ووضعه فوق طشت نحاسى وفرش لنا أكثر من كليم، كان أجمل مكان شاهدت فيه مباراة فى حياتى، عدنا

إلى كرمة الشيخ جميل بعدها لنقضى الليلة نتحدث عن مزرعة الأعشاب التى يفد إليها كل فترة علماء مراكز البحوث للإستفادة من كنوز الطبيعة العلاجية، قال لنا الشيخ جميل تعلمنا من أجدادنا أن نسير فى الصحراء خلف الأغنام والجمال نحصد الأعشاب التى يأكلون منها ونبتعد عن تلك التى يتجنبوها فهم يتجنبون بالفطرة الأعشاب السامة أو المخدرة، أعشاب «السكران» كانت مصدر ثراء للبدو فى الزمن البعيد لأنها كانت المخدر المعتمد طبيا قبل ظهور البنج، أعشاب «المسياسه» عالجت كل آبائنا وجدودنا من السكر، أذكر شخصا أحضره أهله إلى جدى كان يعانى شللا فى أطرافه بعد أن زاروا به كل الأطباء، كان الجد لا يعرف دواء لحالة الرجل فطلب منهم أن يتركوه أسبوعا فى ضيافته والشفاء من عند الله، بعد طول تفكير أحضر الجد أحد الخرفان وذبحه ثم أحضر «كرشته»، ووضعها فى إناء كبير فوق الحطب وتركها تغلي، كان مغلى الكرشة أخضر اللون، وكان الجد يقدم منه لضيفه ثم يقوم بإضافة الماء لها من جديد وهى مستمرة فوق الحطب المشتعل، فى نهاية الأسبوع كان المريض يقف على باب الخيمة فى استقبال أهله وهو يستند إلى عصا، فرح الأهل وسألوا الجد عن السر فقال: فى أمعاء الخروف خلاصة كل أعشاب المكان.. فى أحد هذه الأعشاب كان دواء المريض لكن أقسم بالله لا أعرف أى عشب منهم بالضبط هو الذى عالجه.

حكى لنا الشيخ جميل أن الإختلاط بالحضر أفسد بعضا من حياة البدو، وقال فى اللحظة التى قرر فيها بدوي ما منذ زمن أن يضع السيراميك فى أرضية منزله بدأ منحنى تميزنا فى الهبوط، كنا فى عزلة محببة إلى النفس قبل ٦٧، كانت سيناء كلها محافظة واحدة يقع الكيان الإدارى لها فى العريش، كانت شرم الشيخ صحراء وكنا نغير مكان إقامتنا كل ثلاثة أشهر، أن تترك أرضا ما ليأخذ كل ما فيها دورته الطبيعية لمدة تسعة أشهر فهذا يعنى خيرا كثيرا فى هذة الفترة تنمو الحشائش والإعشاب على مهل وتتجدد التربة وتفيض عيون الآبار من جديد فكانت حياتنا رغدة .

أهدانا الشيخ جميل فى النهاية تشكيلة من أعشاب البر ابنة مزارع الطبيعة لازالت رائحتها تعبق المنزل حتى هذه اللحظة، بعض «الحبق» الذى يمنح طعم كوب الشاى أبعادا جديدة، وبعض «الروزماريا» التى يبعد كوب منها عنك الأرق ويجلب لك أحلاما سعيدة، وبعض «المرماريه» التي تجعل المعدة قادرة على هضم فردة حذاء أديداس.

بعد ثلاثة أيام فى هذا المكان شعرت بتغيير ما بداخلى، خلطة من الهدوء النفسى والرغبة فى التسامح مع آلامك وإضطراباتك النفسية، كان طريق العودة مليئا بالشرود والصمت و تأمل أفكار تتبدل بداخلك، أوقفنا كمين ودقق أمين الشرطة النظر إلي ثم قال لى «أنا حاسس إنى أعرفك.. حضرتك بتطلع فى التليفزيون؟» قلت له: نعم، فقال لى «طيب ممكن نتشرف بالإسم؟»، كان شريط الرحلة يمر أمام عينى سريعا قبل أن أبتسم له بثقة قائلا: «حمدى قنديل».

الحكي فى رحاب برما عن الشوك

أعرف أن الملك هنري ملك فرنسا كان رقيقًا لدرجة تجعله يأنف من أن يمسك الطعام بيديه، فاخترع له مهرج القصر «الشوكة»، فأصبح هو أول من استخدمها، لكنني لا أعرف من الذي جعل الإتيكيت (أن يمسك الشخص الشوكة بيسراه ليلتهم بها الطعام)، أغلب الظن أنه ليس مسلمًا، وبالتالي فهو لا يعرف وصية النبي صلى الله عليه وسلم: «كُلْ بِيَمِينِكَ»، والموضوع ليس له علاقة بالديانات، فالشيطان عابر للأديان، والثابت في مخيلتنا أن عدة عمل الشيطان هي الشوكة، ومع ذلك فقد أصبحت دليلًا على أنك تجلس إلى مائدة طعام راقية مجبرًا على التهام طعامك بيسراك حتى لا تهتز صورتك أمام الآخرين، القنفذ أيضًا يحافظ على صورته باستخدام الشوك، لكن القنفذ لا يستخدم شوكة واحدة بيسراه بل يتكور ككتلة من الشوك مستفيدًا من الفرق الرئيسي بينه وبين الإنسان وهو أنه بدون رقبة، أشواك القنفذ قصيرة وغير حادة، لكنه يحكم إغلاق سترته بشكل قد يقود الثعبان الضخم إلى الجنون إذا ما التقط القنفذ طرف ذيل الثعبان وأغلق عليه سترة الشوك، لم يستفد القنفذ شيئًا من وجوده مع الإنسان على كوكب واحد، لكن الإنسان استفاد كثيرًا إذ تعلم من القنفذ نظرية جديدة في الحماية اسمها: (الأسلاك الشائكة).

أنا متأكد تمامًا من أن الشوك يحمي القنفذ مثلما يحمي الصبَّار الذي حكم عليه القدر أن ينمو في مناطق صحراوية عُرضة للفئران الجبلية التي قد تلتهم عروق الخشب، لكنها لا تقوى على الاقتراب من الصَّبار وثماره التي يجمعها الصبية ويقشرونها لك بمنتهى السهولة على الكورنيش لتلتهمها وأنت متحرر من أهمية استخدام الشوكة، لكنني لا أستطيع أن أحدد العلاقة بين الورد والشوك، ولا أعرف هل ظهر الشوك في مرحلة لاحقة ليحمي الوردة، أم أن الشوك هو الأصل والوردة مجرد كمين؟

لا توجد حقيقة ثابتة بخلاف أن النخاع الشوكي لا يوجد به أي شوك، لكنه مسئول عن أن يجعلك تشعر بالألم عندما تدخل شوكة في قدمك وينهبك إلى خطورة الإمساك بقنفذ أو خوض تجربة تقشير حبة تين شوكي بنفسك بخلاف أنه يعطي أمرًا مباشرًا للمخ يجعلك عندما ترى شوكة على المائدة تلتقطها بيسراك، لكنه لا يستطيع أن ينبهك إلى تسلل ديدان البلهارسيا إلى معدتك، تلك الديدان التي قد تعتقد أنه يسهل التخلص منها مع الفضلات أو عبر الأدوية الملينة رزقها الله شوكتين تغرزهما في جدار المعدة لتتشبث بها ومع كل حركة لها بالداخل يحدث النزيف المعروف.

يلعب الشوك دورًا في المظهر والجوهر والدفاع عن النفس والفلسفة والدفء أحيانًا، فلا يوجد باعث على الدفء في العالم

كله أقوى من أشواك أرخص بطانية في العالم، بطانية (صوف العسكري)، وهي تصلح للعزاب أكثر من المتزوجين، فالزوجة يكفيها شوك زوجها الكسول الذي نادرًا ما يحترم شكواها (دقنك بتشوكني!!).

هذه الزوجة التي تشكو من أشواك ذقن زوجها من المؤكد أنها تعرف عبد الحليم حافظ، وأنا هنا لا أتحدث عن حليم الذي (مشى على الأشواك لحد أحبابه .. لا عرفوا أيه وداه ولا عرفوا أيه جابوه)، وهي كلمات الأبنودي، لكنني أتحدث عن حليم الذي مشى على الأشواك وجعلته أشواك البلهارسيا ينزف بقوة، وفي إحدى نوبات النزيف كان يقف على واحد من أهم مسارح لندن ليقدم لأول مرة أغنية وطنية من كلمات الأبنودي أيضًا عن القدس وعن تاج المسيح قائلًا: (تاج الشوك فوق جبينه وفوق كتفه الصليب .. دلوقتي يا قُدس ابنك زي المسيح غريب) .. وهذه شوكة أخرى.

الحكى فى رحاب برما عن كرم ضيافة سيدنا النبى

صليت الجمعة الماضية إلى جوار قبر النبي صلى الله عليه وسلم، أحافظ على صلاتي، لكنني منذ فترة أصلي الجمعة في البيت لا لكسل ولكن الاختلاط بنوعيات غريبة من الناس في زحام الجمعة غالبًا ما يفسد صلاتي لاستغراقي في تأملهم .. هؤلاء الذين لا يتوقفون عن العبث بجيوبهم للتأكد من وجود المفاتيح، رنات الموبايل الفاضحة، نشاز الأئمة وما يحدثه من تلوث روحاني، آخر مرة صليت فيها الجمعة في المسجد مددت يدي بعد الصلاة لأصافح جاري، لكنه امتنع عن المصافحة قائلًا: إنها لم ترد في السنة.. فسألته: (يعني كسفة إيد ممدودالك بالسلام هيه اللي وردت؟).

كل فترة أشعر أن هذه المبررات ضعيفة ومخزية وغير مقنعة فأصطحب سجادتي وأستقر في أبعد نقطة محاولًا تعويض سذاجة الخطيب بالإكثار من الاستغفار والتسبيح، هذه المرة صليت إلى جوار آلاف الهنود والجنوب شرق آسيويين، وكنت سعيدًا منصتًا وفي قمة تركيزي، ومسحورًا برقة الحذيفي إمام المسجد.

في الطريق إلى المدينة كان قائد السيارة يقود بسرعة ١٨٠ كيلومترًا في الساعة كي نلحق بالصلاة، فانفجر إطار السيارة، قال السائق: كان منطقيًا أن تنقلب بنا السيارة عدة مرات، قلت له: إننا نقطع هذا الطريق لنزور النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا أقل واجب ضيافة قد يقدمه لنا، نزلت لأساعده في تغيير الإطار،

كانت الشمس قاسية وكانت أشعتها المنعكسة على الجبال تكاد أن تذهب ببصري، لم يتحمل الإطار الفاخر سخونة الأرض لمدة ثلاث ساعات متواصلة، وأرهقتني الساعات الأربع بين اليقظة والنوم في سيارة مكيفة، وكدت أُصاب بضربة شمس عندما نزلت منها لمدة ٣ دقائق، بالنسبة لي عادي.. ولكن السؤال كيف قطع النبي صلى الله عليه وسلم هذا الطريق سيرًا على الأقدام في عشرة أيام؟

فعلها النبي صلى الله عليه وسلم، فكان طبيعيًا أن ترى عشرات الآلاف من مختلف الجنسيات معظمهم لا يعرفون اللغة العربية يتصارعون للفوز بصلاة ركعتين في الروضة الشريفة، كنت فيما قبل أردِّد كالببغاء: «أدى الرسالة، وبلَّغ الأمانة، ونصح الأمة»، اليوم أقولها وملأ قلبي اليقين، وشفت بعيني إنه (أدى الرسالة) فعلًا.

كان كرم الضيافة كبيرًا، كان زمن الزيارة ساعتين قبل العودة إلى مكة، كنت أعرف أنني سأخوض مهمة حربية لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وصلاة ركعتين في الروضة الشريفة، هناك من يقضون أيامًا في المدينة قبل أن يفوزوا بهذا الشرف، لكنني ومنذ أن وطئت قدمي أرض الحرم النبوي حتى وجدتني أقول بشكل لا إرادي مخاطبًا سيدي النبي صلى الله عليه وسلم: «سيدي وصالك.. زاد عليّ حنيني»، وكان سيدي كريمًا في وصاله، فصليت بالقرب من قبره، ثم قمت فوجدت الأمن يزيل

في اللحظة نفسها الحاجز الذي يحيط بالروضة، وجدتني مدفوعًا لأستقر أمام منبره، صليت حيث لا أحد يقطع صلاتك بالمرور أمامك، ثم دفعني الزحام المنساب ببطء من جديد لزيارة قبره وقبر الكبار: أبوبكر وعمر، توقفت حيث لا فرصة للتوقف وسط طوفان البشر الهادر، لكنني فعلتها، مرت أمامي مشاهد كثيرة، صوت من الطفولة يغني «ميتى أشوفك يا نبي يللي بلادك بعيدة»، قريبتي وهي تحكي لزوجة البواب المفرطة في السذاجة والطيبة قائلة: إنها زارت المدينة، وزارت قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فلطمت زوجة البواب على صدرها في دهشة وذهول قائلة: (هو النبيّ مات؟!)، مشهد سيدنا علي وهو يغسل جسد النبي صلى الله عليه وسلم بمعاونة أسامة بن زيد والعباس بن عبد المطلب، مشهد سيدنا عمر وهو يشهر سيفه متوعدًا من يقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم مات؛ لأنه لم يصدق، مشاهد كثيرة لمداخل بيوت أقاربي وجيراني في الصعيد وقد زُيِّنت برسوم لطائرة أو باخرة وأسفلها حج وزار قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وحديث: «مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي»، إلى أن جرفتني الأمواج باتجاه باب الخروج.

كان كرم الضيافة أكبر من الوصف، خرجت وقد أصبح مقاس روحي إكس إكس لارج بعد سنوات في مصر وهي تتراوح ما بين ميديم وسمول، خرجت فرحًا لا أشعر بأي خوف من الآخرة،

بالعكس أصبحت أشعر بالخوف من الدنيا التي قد تبدد هذه الأنوار، وفي طريق العودة كنت شاردًا مع القمر الذي اكتمل فأنار ظلام الصحراء وانساب نوره على الجبال، كانت رفقة القمر أشبه بالطبطبة، كان امتدادًا لكرم الضيافة ورقة وصال سيدي النبي صلى الله عليه وسلم، لاحظ السائق انجذابي، فسألني إن كنت سأؤدي عمرة ثانية عند العودة إلى مكة، ابتسمت وهززت رأسي بالموافقة «طبعًا»، فقال لي: «عمرة نص رجب».

نسيت من أنا خلال الساعات القليلة التي قضيتها بين مكة والمدينة، نسيت أنه لا طيران من القاهرة إلى المدينة، وأنني لابد أن أخرج من بيتي في وسط المدينة محرمًا، نسيت تعليقات الأصدقاء المصريين «السكر» الذين قالوا لي: «ما بتفكرش تحط خطين حمر بعرض لبس الإحرام؟!». نسيت برد الطائرة القارس الذي حطم ضلوعي، نسيت الأقلام التي انهالت على قفايا وعلى وجهي من كل صوب وأنا أشق طريقي باتجاه الحجر الأسود، نسيت طقطقة مفصل الفخذ أثناء السعي، نسيت أن أعلق لمرافقي على كون صنفين فقط يحصلون على امتياز ما في العمرة والحج هما الرؤساء وأصحاب الاحتياجات الخاصة (الفرق أن الفئة الأخيرة هناك أمل في شفائها)، نسيت حقائبي التي تأخرت بالساعات في المطار، كنت متوحدًا تمامًا ولا أرى إلا الأنوار في كل مكان.

المرة الوحيدة التي فصلت فيها لمدة ثوانٍ عندما وقف إلى جواري أمام قبر النبي صلى الله عليه وسلم رجل مصري بسيط كبير في السن، كان هادئًا ووجهه مريحًا، ويبدو أنه لم يدرِ ماذا يجب أن يقول لساكن القبر، فرفع يده ملوحًا بالتحية وكله خشوع وصدق قائلًا: (باشا).

الحكى فى رحاب برما عن السعادة

أن تفتح الراديو بالصدفة فتجد أغنية تحبها في أولها: (اتعودت عليك يا حبيبي.. شادية)، أن تتسلل إلى البلكونة في ليلة حارة هاربًا من الأرق فتهبّ عليك نسمة رقيقة خفيفة الظل بها رائحة من ليالي الحب الأول تجعلك تأخذ نفسًا عميقًا وتخرجه مصحوبًا بلفظ الجلالة، أن تلبي طلبًا بسيطًا لأمك: (ناولني كوباية ميه)، تناولها كوب الماء المشبر فتهبدك دعوة صادقة: (ربنا يبل ريقك ويسعد قلبك)، أن تصحو فتجد زوجتك في المطبخ تاركة طفلتك نائمة إلى جوارك، تفتح عينيك فتفتح البنت عينيها في اللحظة نفسها، ثم تبتسم فجأة في وجهك، أن تتوقف عند عربية الفول في اللحظة نفسها التي يصل فيها الولد بالخبز الطازج الساخن على دراجته، أن يفوتك المترو فتجد الذي يليه رائقًا للدرجة التي تجعلك تجلس إلى جوار النافذة، أن تقابل (أبو تريكة) صدفة في الشارع، أن تشعر بالوحدة فتفتح التليفزيون فتجد مسرحية «العيال كبرت»، أن تكون جالسًا مع أقرب قريب لك تسترجعان أيام الطفولة في بيت العائلة فينقطع التيار الكهربائي، أن تصلي الفجر في المسجد المجاور لمنزلك، ثم تضع السماعات في أذنيك وتمشي قليلًا لتستقبل أول درجات النور على أنغام الموسيقى وطبطبة الهواء النظيف على شُعبك الهوائية، أن تعرف مصادفة أن هناك شخصًا يحبك من زمان من بعيد دون أن يخبرك أبدًا، أن تفتح حظك اليوم في نهاية اليوم فتجده يعطيك مبررًا مريحًا لهذا اليوم الفاكس بأن

الشمس ليست في مجالك اليوم، مبرر فاكس أيضًا، لكنه يجعلك تلتقط أنفاسك وتستريح، أن تصل مقر عملك بسيارتك فتجد مكانًا بدون مشقة بدون سايس بدون ما تسيب المفاتيح بيقولك: اركن، أن يرتمي شخص تحبه في حضنك بلا مبرر بلا مقدمات، أن تخطف ساعة نوم الضهرية فتصحو وقد زال عنك بلا سبب الصداع الذي أفسد نهارك، أن تجد نفسك خرمانًا بعد منتصف الليل وعلبة سجائرك فارغة تقلب العلب المتناثرة هنا وهناك فتجد بالصدفة سيجارة وحيدة في واحدة منهم، أن تدخل الحمام وأنت مستعجل فتجد في الداخل مصادفة جريدة قديمة تؤنس وحدتك، أن تصحو براحتك يوم إجازة أكتوبر فتسمع قادمًا من الصالة صوت وردة تغني في التليفزيون: (حلوة بلادي)، أن تنجح في إصلاح حنفية المطبخ اللي بتنقط بقالها يومين دون أن تستعين بسباك، أن تخرج البالطو من الدولاب في بداية الشتاء فتجد في جيبه ورقة بعشرة جنيهات، أن تجد صديقًا من أيام الدراسة على الفيس بوك (الفيس بوك يساعدك على التواصل مع كل حبايبك من أيام الجيزة)، أن تخرج من بيتك متأخرًا دون أن تحلق ذقنك فيقابلك أول شخص بأن يقول لك: (دقنك حلوة وهيه طويلة)، أن تفكر في شخص ما فتجده يتصل بك أو تتصل بشخص فيقول لك: فيك شيء لله كنت على بالي، أن يستعيد اللاعب الذي تحبه مستواه ويحرز هدفًا جميلًا، أن تجد وسط كراكيب البيت شهادة تخرجك من الحضانة

وبها صورتك وأنت طفل، وجملة تعبر عن تقييم مدير الحضانة لشخصيتك: (سريع البديهة ومتعاون مع أصدقائه)، فتكتشف أنك لم تفقد بعد ما كان يميز طفولتك.

كنت أكتب مقالًا يوميًا اسمه «منتهى السعادة»، سألني برما عن تعريفي للسعادة.. أرجو أن أكون قد أجبت.

ترقبوا

برما في متحف محمود خليل

(نُشرت هذه المقالات في جريدة الدستور في الفترة يوليو ٢٠٠٩- سبتمبر ٢٠١٠، ربما تكون قد مررت ببعضها منشورا على الإنترنت بلا توقيع، أقسم لسيادتك أننى مؤلفها).

صـدر للكاتـب

١. مشوار لحد الحيطة – شعر (٩٨).

٢. لابد من خيانة – شعر (٩٩).

٣. عرفوه بالحزن – شعر (٢٠٠١).

٤. بالقرب من نهر بيدرا جلست وبكيت– رواية مترجمة (٢٠٠٣).

٥. وضع محرج- شعر (٢٠٠٤).

٦. شكلها باظت (٢٠٠٥).

٧. كابتن مصر (٢٠٠٦).

٨. ابن عبد الحميد الترزي (٢٠٠٧).

٩. قهوة وشيكولاتة – شعر (٢٠٠٨).

١٠. جر ناعم (٢٠٠٨).

١١. الخيانة مشوار محرج لحد الحزن – مختارات شعرية (٢٠٠٩).

١٢. رصف مصر (٢٠١٠).

١٣. برما يقابل ريا وسكينة (٢٠١٠).

الفهـــرس

إهـداء وشكـر	٥
القسم الأول	
برما .. بوذا الحرفيين	٩
رسالة برما إلى «سليم تيظهر»	١٣
في فرح أخت برما	٤١
شلة الـ ٢٥	٤٧
برما بيغير«زيت»؟	٦١
برما على شط البحر	٦٧
برما وحدوتة قبل النوم	٧٩
برما ناقد فني	٨٥
بتلومونو ليه؟	٨٩
برما في قهوة عم أحمد	٩٩
حب ما تأكل حتى تأكل ما تحب!	١٠٥
برما في العاشرة مساء	١١٣
برما بيتكلم بلدي؟	١٢١
وحشتنا يا ريس	١٣١
لماذا خلق الله القهوة مرة؟	١٣٧
القسم الثاني	
الحكى فى رحاب برما	١٤٧
الحكى فى رحاب برما عن رجل الشارع	١٤٩

الحكى فى رحاب برما عن جنون الستاتيوس	١٥٥
الحكى فى رحاب برما عن عقدة الطفولة	١٦٥
الحكى فى رحاب برما عن بورتو مارينا	١٧١
الحكى فى رحاب برما عن رحلة سانت كاترين	١٧٧
الحكى فى رحاب برما عن الشوك	١٨٩
الحكى فى رحاب برما عن كرم ضيافة سيدنا النبى	١٩٥
الحكى فى رحاب برما عن السعادة	٢٠٣
صدر للكاتب	٢٠٩